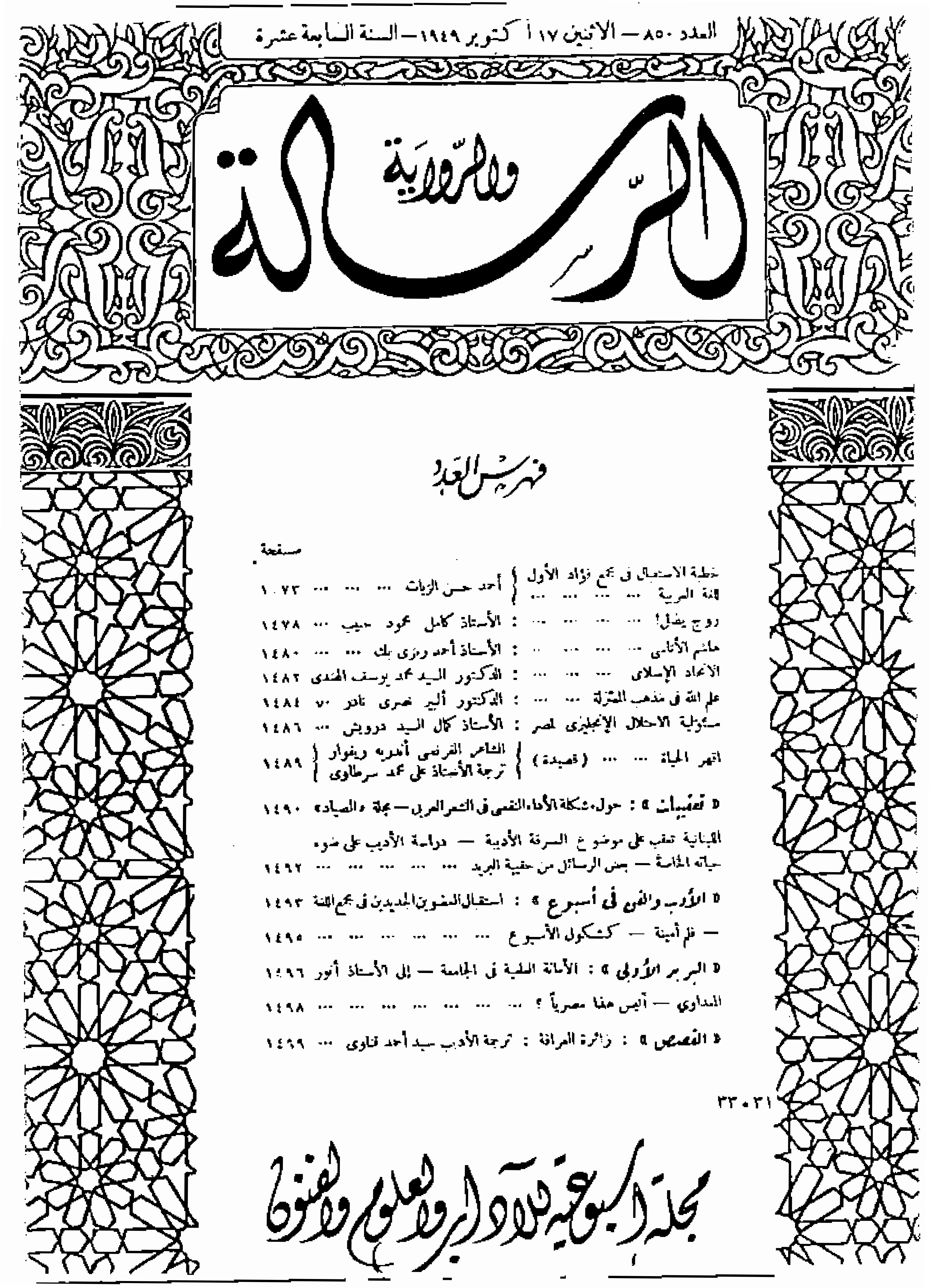


العدد ٨٥٠ — الاثنين ١٧ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

Lundi — 17 — 10 — 1949
17 e Année No. 850



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٨٥٠» القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أنطون الجميل باشا :

خطبة الاستقبال

في مجمع فؤاد الأول للغة العربية

سيدي معالي الرئيس ، إخواني ، سيداتي ، سادتي :

اسمحوا لي أن أتقدم بأجزل الشكر وأخلصه إلى إخواني الذين تفضلوا فشرفوني بانتخابهم إياي زميلاً لهم في هذا المجمع الموقر . وإني أسأل الله أن يعينني على استحقاق هذه الثقة الغالية ، وأن يُقدرني على تكاليف هذا الشرف العظيم . ثم أخص بأجزل الحمد وأطيبه صديقي الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك على استقباله الذي أشاع فيه من سراوة خلقه وسخي تقديره ما هز من عطفي وبسط من انقباضي . وإني لأذكره في غبطة واثقة ما يحمل كلانا لأخيه من ذكريات عذاب نشأت منذ أكثر من ثلاثين عاماً في ظلال الشباب وكنف الأخوة ، ولا تزال لها في النفس إشراق وبالقلب نوطة . وأشهد لقد لابسته تلك السنين الطوال فزاملته في جهاد العيش ، وآخيته في نسب القلم : في المدرسة الإعدادية ، وفي لجنة التأليف ، وفي تحرير (الرسالة) ، فلم أره تخلف يوماً عن مكانه بين أولئك الذين يعرفون كرامة النفس ، ويحفظون غيب الصديق ، ويقيمون قواعد العمل والمعاملة على أساس العلم والخلق .

ثم أرجو — أيها السادة — أن تشاركوني في دعاء الله رب جميع الناس أن يتغمد برضوانه وغفرانه فقيدنا الكريم أنطون الجميل باشا . وإني لأعترف أن خسارة المجمع فيه لن يعوض منها أن يكون خَلَفه مثلي . ولا أقول هذا مجاملة لسان ولا تواضع نفس ؛ فإني صادقت الرجل خمس عشرة سنة بلوت فيها ما عنده . فأنا من أعرف الناس بفضله ومن أعلمهم بموضعه .

عرفت صديقي أنطون سنة ١٩٣٤ ، وكان لقاؤنا الأول في دار صديقتنا المرحومة (مي) ، وكانت هي التي دبرت هذا اللقاء ودعت إليه ، فقد سمعته مراراً يذكرني بالخير ويؤثر (الرسالة) بالثناء ، فجمعت بيننا في مساء أحد من آحاد فبراير من تلك السنة ، وقالت بلهجتها الأنيقة وهي تعقد بيني وبينه المعرفة : إن كلا منكما يعرف اسم صاحبه في الأسماء ، ولعله يعرف وجهه في الوجوه ، ولكنه لا يعرف أن ذلك الاسم لهذا الوجه . ومن سعادتي أن تكمل معرفتكما عندي .

فقال الجميل وهو يبتسم ابتسامته الرقيقة المعبرة : نعم ؛ إني أعرفك وإن لم أرك . عرفتك مما قرأت لك وسمعت منك فوجدت بيني وبينك مشابه في استعداد الفطرة وأسلوب العيش هي التي حببتك إليّ وجذبتني إليك . فقد بدأتُ حياتي معلماً للأدب كما بدأت .

ثم حررت جريدة (البشير) فى بيروت دينية يشوبها الأدب ، وأصدرت (الزهور) فى القاهرة أدبية يهذبها الدين ، وها ان النزعتان أجدهما مجتمعتين فى (الرسالة) . ثم كرمت التحيز لأى حزب ، والتعصب لأى مذهب ، والإساءة إلى أى شخص ؛ فأنا أنشد الخير فى كل عقيدة ، وأؤيد الحق فى كل هيئة ، وأحب الجمال فى كل إنسان . ولولا أن (الأهرام) أمانة فى عنق لقطعت ما بينى وبين السياسة . ويظهر لى أنك تهيج فى حياتك هـذا النهج ، وتسلك فى عملك هذا المسلك ...

ثم تشاجن الحديث وأخذ ثلاثتنا بأطرافه ، فملت فى هذا المجلس وفى المجالس التى أعقبته ، أن الجيل — فضلاً من وجوه الشبه التى رآها بينه وبينى — أزهرى مثلى ، يعرف قواعد اللغة كما يعرفها الأزهر ، ويفهم تاريخ الأدب كما تفهمه دار العلوم .

ولست أعنى بأزهرية الجيل ذلك التأثير القوى الذى يؤثره الأزهر فى كل كاتب وفى كل شاعر من طريق مباشر أو غير مباشر ، إنما أعنى بأزهريته ما أعنيه بأزهرية فقيدنا المرز الآخر على الجارم ، وهو أن كلا الرجلين كان ربيب مدرسة اشتقت من مصدر الأزهر وتفرّعت من أصله . والأمر فى أزهرية الجارم أبين من أن يُبين ، ولكنه فى أزهرية الجيل يحتاج إلى بسط قليل :

كان الأزهر فى أوائل النصف الأخير من القرن الماضى لا يزال وحده يرسل أشعة الثقافة فى العالم الإسلامى كله . ولكنه كان فى أثناء الغفوة العامة يحفظ علوم الدين ولا يجتهد ، ويدرس فنون اللغة ولا يطبق . وكانت معاهد العلم فى المغرب والشام والعراق تتملم فى كتبه وتجرى على مناهجه ، حتى وقع فى سورية ومصر أمران خطيران كان لهما الأثر البالغ فى تطور المجتمع وتقدم التعليم ونهوض الأدب : حدوث الفتنة الطائفية فى لبنان سنة ١٨٦٠ ، وولاية اسماعيل على مصر بعدها بثلاث سنين . كان من أثر تلك المذبحة الأهلية أن لجأ اللبنانيون من قراهم إلى بيروت فتجمعت فيها الحركة ، وأن وُضع للبنان نظامه الخاص ففتح بابه للأجانب ، فدخله المستعمرون والمبشرون من فرنسا وأمريكا ، وأنشأوا فى ظل الامتيازات الكلية الأمريكية سنة ١٨٦٦ ، والكلية اليسوعية سنة ١٨٧٤ . وكان اللبنانيون فى عهد بنى عثمان كالموالى فى عهد بنى أمية ، أبعدوا عن مناصب الدولة فاشتغلوا بالعلم ، وحيل بينهم وبين موارد الثقافة فى عاصمة الخلافة فاعتمدوا فى التعليم على أنفسهم . وكانت (المدرسة الوطنية) التى أنشأها المعلم بطرس البستانى سنة ١٨٦٣ أول مدرسة تخرج فيها صفوة من الأدباء كانوا عدة الكليتين الأمريكية واليسوعية فى تعليم اللغة العربية . وكانت كتب التعليم فى هذه المدارس هى كتب الأزهر بعد أن يقّص اللبنانيون أوراقها الصُّفر ، وسهّلوا أساليبها الوعرة ، وقرنوا قواعدها الجافة بالأمثلة الشارحة والتطبيقات المدرّبة ، واحتذوا فى تنسيقها على مثال ما درسوه من كتب التعليم الفرنسية .

ثم كان من أثر جلوس إسماعيل على كرسى الخديوية أن بسط ظلال الأمن على ربوع مصر ، ومهد لرجوع المدنية إلى ضفاف النيل ، فوفد علينا الأجانب للتبشير والتعليم والعمل والتجارة ، وفيهم جماعتا الفرير والجزويت . ثم فتح ما انغلق من المدارس ، ووصل ما انقطع من البعوث ، وأسس نظارة المعارف ، ووسع دائرة التعليم ، فاقتضى ذلك كله أن ينشئ مدرسة يتخرج فيها المعلمون ، فأنشأ دار العلوم فى سنة ١٨٧١ ليتخصص طلابها فى الآداب العربية ، ويشاركوا فى العلوم الدينية والعقلية ، ويأخذوا بنصيب من الثقافة الأوربية . وكان أساتذتها يومئذ من نابهى شيوخ الأزهر ، وتلاميذها من متقدمى طلابه ، وكتبها من أمهات كتبه . ولكن اتصال أهلها بالحياة المدنية ، وتأثرهم بالأساليب التربوية ، وانتباههم لطرق التعليم الحديثة ، جعلت لهم فى التفكير والتعبير والسمت طابعاً تاماً يميزهم من رجال الدين فى الأزهر وتوابعه . فمدرسة دار العلوم كانت فى القاهرة أثراً لسياسة إسماعيل العامة ، كما كانت المدرسة الوطنية فى بيروت أثراً لنظام لبنان الخاص . وكانت هاتان المدرستان — كما قلت — شعبتين من أرومة الأزهر ، أمدّهما بالغذاء والرى ، ووصلهما بالروح والحرارة ؛ ولكنهما لأسباب متجانسة ، وعوامل متشابهة ، تميزتا منه بالشكل واختلفتا عنه فى الثمر . غير أن الاختلاف فى المدرسة المصرية كان ضيقاً لقربها من الأزهر فى البيئة والعقيدة والعقلية والتقاليد ؛ فهى فرع طبيعى من أصله ، ونوع ممتاز من جنسه ؛ ولكنه كان فى المدرسة اللبنانية شديداً لبعدها من الأزهر فى المكان والدين والتربية والسنن الموروثة

والصلات الأجنبية ، فهي أشبه بالطعمة الغريبة أدخلت في جذعه فجاء ثمرها مغايراً للأصل في طعمه ولونه ، ومختلفاً عنه في قيمته وجداه .

سارت المدرستان على جانبي الركب الحثيث في طريق النهضة ، مدرسة مصر بطيئة تتأنى وتتروّى ، ومدرسة لبنان بسارية تتسرع وتخف . وكان الزمام أول الأمر عندنا وعندهم في أيدي المحافظين كحمزة وحفني والمهدي والأسكندري وشاويش ووالي هنا ، وكالبستانيين بطرس وسليم وسليمان ، واليازجيين خليل وناصيف وابراهيم هناك ، فكان التقليد غالباً ، والتطور بطيئاً ، والفروق بين المدرستين قريبة . فلما أسرع الركب ، واتصل القديم بالحديث ، وامتزج الشرق بالغرب ، انشقت من مدرسة دار العلوم المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالإيجاز والطبعية والسهولة والحرية والتطلق ، هي مدرسة لطفي السيد ، ومن رجالها قاسم أمين ، وفتحي زغلول ، وعبد القادر حمزة ، كما انشقت من المدرسة اليازجية المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالشاعرية والطرافة والانطلاق والتمرد ، هي مدرسة جبران ، ومن أتباعها ميخائيل نعيمه ، وأمين الريحاني ، وماري زيادة .

وظلت المدرستان الشقيقتان المصرية واللبنانية تنتجان الأدب في ضروبه المختلفة بأسلوبين مستقلين ، أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر ، على ما كان بينهما من تفاوت في الطاقة والمادة والصنعة والتقيد والتحرر ، وبقيت المدرسة الأزهرية الأم ماكثة على النظر المجرد والجدل العقيم بين أروقة الأزهر والزيتونة والأموي والنجف ، تنتج الكلام ولا تصنع ، وتشحذ السلاح ولا تقطع ، فلم يكن لها في ذلك العهد النابر أدب غير أدب الشواهد ، ولا أسلوب غير أسلوب الحواشي ، حتى إن شيخاً من كبار شيوخها كان ناظراً بحكم عمله على وقف خيري ، فاضطر إلى أن يكتب رسالة إلى محافظة القاهرة في شأن من شؤونه ، فلم يفهموا عما كتب شيئاً . فلما أعادوا الرسالة إليه يستوضحونه المبهم ، ضحك هزؤاً بالجهل ، ومصمص أسفاً على العلم ، ثم كتب على الرسالة حاشية على طريقة : قولي كذا معناه كذا ، وقول كذا أريد به كذا ، ثم ردها عليهم . ولو أنهم ردوها عليه مرة أخرى لكتب — رحمه الله — تقريراً على الحاشية .

* * *

كان الفرق بين مدرسة القاهرة ومدرسة بيروت كالفرق الذي كان بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة . كان البصريون يقدمون السماع فلايرون القياس إلا في حال تضطرهم ، ويتشددون في الرواية فلا يأخذون إلا عن الفصحاء الخلص من صميم العرب ، لكثرة هؤلاء بالبصرة وقربها من عاصم البادية . أما الكوفيون فكانوا لخلاطهم أهل السواد والنبط يعتمدون في أكثر المسائل على القياس ، ولا يتحرجون في الأخذ عن أعراب لا يؤمن البصريون بفصاحة لغتهم . فالمصريون لقربهم من الأزهر واعتمادهم على القرآن ، وقلة اختلاطهم بالأجانب ، كانوا أشبه بالبصريين في تقديمهم السماع ، وتشددهم في القواعد ، وخضوعهم للمعاجم ، ونفورهم من الدخيل ، وجريهم على أساليب القدامى ، واعتقادهم أن العربية لغة العرب الأولين ، فلا يملك المولدون أن ينقصوا منها ولا أن يزيدوا فيها . واللبنانيون كانوا لبعدهم عن بيئة القرآن ، وتأثرهم بأسلوب الإنجيل ، وكثرة اختلاطهم بالفرنسيين والأمريكيين ، وشدة احتياجهم في الترجمة والصحافة إلى تطويع اللغة وتوسيعها لتعبر عن المعاني الحديثة ، كانوا أشبه بالكوفيين في تقديمهم القياس ، وقبولهم الكلمات المولدة والنصرانية والدخيلة ، واقتباسهم بعض الأساليب الأوربية ، وتساهلهم في بعض القواعد النحوية والتراكيب البلاغية ؛ ولذلك رماهم الأزهريون بضعف الملكة ، وسقم الأداء ، وقصور الآلة ، فلم يقيموا لإنتاجهم وزناً ، ولم يشطوا بمعاجمهم ثقة . ولكن الحق أن المدرسة اللبنانية كانت عملية تقدمية حرة ، وأكبت الزمن في السير ، وطلبت العلم للعمل ، وسخّرت الأدب للحياة ، ونظرت إلى اللغة نظر الوارث إلى ما ورث ، يملك عليه بمقتضى الشريعة والطبيعة حق الانتفاع به على الوضع الذي يريد ، وحق التصرف فيه على الوجه الذي يحب . وقد تطوّقت العربية منها أيادي مشكورة بما أمدتها به من مصطلحات الفنون المختلفة ، وأسماء المخترعات الحديثة ، من طريق الترجمة والتأليف والتمثيل والصحافة والتجارة . ثم كان في جانبها الزمن وفي مؤازرتها الطبيعة ، فضلا فعلهما في تطوير المصرية حتى قل بينها وبين أختها الخلاف وكثر التشابه ، وجاء مجمع فؤاد الأول فأخذ بحكم قانونه يوفق غير عامد بين المدرستين ، فتسهّل في القواعد ، وتجوّز في الوضع ، وتسمّح في الدخيل ، وسلّم بالواقع ، وأصغى إلى مذهب الإجماع اللغوي الذي يدعو

إليه الدكتور السنهوري ، وإلى مذهب القياس في اللغة الذي يقول به الأستاذ أحمد أمين .

والمتتبع لتطور المدرستين أيها السادة يرى أن كلتيهما قد مرت في أطوار ثلاثة : طور التقيد والمحاكاة ، وطور التحرر والاعتدال ، ثم طور التمرد والانطلاق . ولكن الانتقال من طور إلى طور كان في مصر متثاقلاً متداخلاً ، يرود قبل النجعة ، ويحوم قبل الوقوع ؛ على حين كان في لبنان يتحرر جريئاً لا يتأنى ، مصمماً لا ينخزل . فبينما نجد صاحبنا الحلبي في (مشهد الأحوال) يقلد ابن حبيب الحلبي في (نسيم الصبا) ، وناصيفاً اليازجي في (مجمع البحرين) يقلد الحريري في المقامات ، وإبراهيم اليازجي في (لغة الجرائد) ينهج نهج الحريري في (درة الغواص) ، إذ نجد آل البستاني وآل الحداد وزيدان ومطران والخوري والجميّل وملاّط يترخّصون السهولة والابتكار والطرافة ، والجبرانيين والمهجريين يجنحون إلى الأصالة والإبداع والتطرف ؛ والزمن بين هؤلاء وأولئك متقارب ، والعوامل المؤثرة فيهم لا تكاد تختلف . وليس بسبيلنا اليوم أن نحلل العوامل في كل تطور في كل بلد ، ولا أن نبين الرجال في كل مدرسة في كل طور ، ولا أن نورد الأمثلة من أدب كل رجل في كل فن . إنما سبيلنا أن نقول إن الجميل كان من خير من يمثلون اللبنانية في طور الاعتدال ، وأن الجارم كان من خير من يمثلون المصرية في مثل تلك الحال .

* * *

سيداتي وسادتي : ولد أنطون الجميل في بيروت سنة ١٨٨٧ ، وبيروت حينئذ كانت ملاذ العلماء والأدباء من لبنان وسورية ، ومتجمع المبشرين والمستشرقين من فرنسا وأمريكا ، وكانت النهضة الأدبية في عاصمة الجبل قد أثمرت بواكيرها ودنا جناها ، فنال الفتى أنطون ما تيسر له منه في الكلية اليسوعية . والمارونيون كانوا يفضلون التعليم الفرنسي لصلتهم الدينية القديمة باليسوعيين ، وعلاقتهم السياسية الجديدة بفرنسا . وحذق أنطون على الأخص اللغتين العربية والفرنسية . والنبوغ فيهما كان فاشياً في شباب لبنان ، لأن تعليمهما كان جارياً على الأسلوب اللاتيني في تأليف الكتاب وإعداد المعلم واختيار الطريقة ؛ فالكتاب متعمق في القواعد متنوع في التطبيق ، والمعلم متضلع من العلم متفنن في التحقيق ، والطريقة قائمة على الحفظ معتمدة على التمرين . ذلك إلى أن الغالب على التعليم الفرنسي الأدب ، والغالب على التعليم الأمريكي العلم . واللبنانيون كانوا يومئذ يتهيأون للعمل الحر في خارج لبنان ؛ لأن النصارى في سورية كانوا كالشيعة في العراق لم يكن لهم في حكومة الترك مكان . والعمل الحر كان في التعليم ، أو في الصحافة ، أو في الترجمة ، أو في التمثيل ، أو في التجارة ، وكلها أعمال تقتضي التبريز في اللغات والتبسط في الآداب . لذلك لم يكد الجميل يتخرج في الكلية اليسوعية حتى عين معلماً في مدرسة القديس يوسف ، ولكن ميله إلى الكتابة واستعداده للتحرير ، ساعدا على اختياره محرراً لجريدة (البشير) سنة ١٩٠٨ ، وقد كان يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، ويحملون إدارتها لأب من صالحي الآباء ، وتحريرها لأديب من نوابغ الأدباء . ثم دعاه إلى الهجرة ما دعا أحرار لبنان من ضيق العيش وسعة الأمل وفساد الحكم ، فهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٩ وحرر في صحيفة الأهرام الفرنسية . ثم أعلنت وزارة المالية المصرية سنة ١٩١٠ عن حاجتها إلى مترجم ، فتقدم إلى المسابقة في هذه الوظيفة ففاز بها. ولكنه لم يقطع صلته بالصحافة فأصدر في تلك السنة نفسها مجلة الزهور أدبية شهرية . واتصلت منذ يومئذ أسبابه بالحكومة ورجال الحكم . وكان الجميل على طبيعة قومه عمولاً لا يدخر جهداً ولا يضيع فرصة ولا يستوطئ راحة ، فبان شأوه على أقرانه ، ودل فضله على كفايته ، فترقى في المناصب حتى عُين سكرتيراً للجنة المالية . ثم اعتزل العمل الحكومي ليتولى رياسة تحرير الأهرام ، فسطع مجده ، وضخم أمره ، وانبسط نفوذه ، واضطرب في مجال الحياة المصرية السياسية والاجتماعية والأدبية اضطراباً عجيباً ، ينبه ويوجه ويوفق ويشارك . عمل في مجلس الشيوخ ، وفي مجمع فؤاد ، وفي جمعيات البر ، وفي جماعات الأدب ، وفي شُعب الثقافة ، وفي لجان الاقتصاد ، فلم تكن عضويته فيها جميعاً مظهراً من مظاهر الفخر ، ولا موردا من موارد المنفعة ، وإنما كانت هماً من هموم الجد يستفرغ الوسع فيه ، ويتوخى النجاح له ، ويدفع العوائق عنه . وكان الرجل على حظ عظيم من الخلق الكريم والطبع المهذب والحلم الراجح ، فساعدته هذه المزايا على أن يكون له في المجتمع هذه المكانة وفي العمل هذا البروز . كان أديب النفس واللسان والقلم ، فلم تكن

لنفسه جلافة تنفر ، ولا للسانه بادرة تُخشى ، ولا لقلمه سن يجرح .
وكان مرهف القلب والعقل والذوق ، فكان يشعر بقوة ، ويفهم بذكاء ، ويذوق بلذة . وكان دقيق العمل والوقت والأسلوب ، فلا يقدّر بالقياس الجزاف ، ولا يوقت بالزمن المبهم ، ولا يُعبر باللفظ المقارب ؛ إنما كان يتبين الغرض ثم يرميه بالذهن النافذ واللفظ المحكم فلا يُخطئه . ولعل كتابته السياسية في الأهرام كانت على وجازتها أدل كلامه على خلقه وأدبه . كان يعالج مشكلات السياسة والحكم بأسلوب فيه صراحة الجبليين وكياسة اليسوعيين ونعومة الفرنسيين ، فيكشف عن الخبأ من غير فضيحة ، ويدل على الفساد من غير اتهام ، ويُوجه إلى السداد من غير استطالة . وهذا الأسلوب وما كان يقويه من صدق النظر وصحة الحكم جعله وهو في مكتب الأهرام وندوته عضو شرف في كل حزب ، ووزير دولة في كل حكومة .

أما أسلوبه الأدبي في الكتابة والخطابة فكان شعريًا في صوره وأخيلته وألفاظه . كان يغلب عليه سلامة التركيب ووضوح المعنى وحسن الترسل ، ويكثر فيه تضمين الأبيات واقتباس الحكم وإيراد النوادر . وقد شغلته الجهود الصحفية والاجتماعية عن التفرغ للأدب المحض فما كان يكتبه إلا مدفوعًا إليه بإلحاح الطلب وإكراه الحاجة ، كأن يكتب مقدمة لديوان صديق ، أو بحثًا في أدب شاعر ، أو محاضرة في دار نقابة ، أو خطبة في مجلس الشيوخ . ولقد كان له وهو في عهد الاستشراف والطموح إنتاج أدبي متصل ، ومنه جريدة البشير الدينية ومجلة الزهور الأدبية . ومن آثاره في ذلك الحين روايتاه : (أبطال الحرية) وموضوعها الانقلاب العثماني ، وبطلاها القائدان التركيان نيازي وأنور . و (السموأل أو وفاء العرب) وموضوعها وبطلها معروفان . وهاتان المسرحيتان لا تمتازان ببراعة الحوار ولا بقوة البناء ، وإنما تمتازان بفصاحة اللفظ وبلاغة الأداء .

وإذا كان لي أن أضيف إلى ما قلت كلمة في وفائه لمصر وحبه للمصريين فحسبي أن أقول إني لم أر في الأدباء الذين توطنوا هذا البلد كاتبًا قبل الجميل ، ولا شاعرًا قبل مطران ، نالا الرضى المصري بكل معانيه ومن جميع نواحيه ، بإخلاص العمل لهذا الوطن ، وإصفاء المودة لأهله ، واعتقاد العرفان لجميله .

هذه — أيها السادة — بعض مزايا الرجل الذي كُتب عليّ أن أودعه بلسانكم في رحلته الأبدية عن هذا المجمع . وإني لأشعر وأنا أجلس في مكانه الخالي أن كرسيه يشكرني كما يشكر الفرس الجواد الراكب الغمر . ولقد حدثتني نفسي — شهد الله — حين تأدى إليّ خبر انتخابي لعضوية المجمع أن أستعفيه من هذا التشريف ، لا زهادة في الشرف ، ولا رغبة عن العمل ، ولا فرارًا من الواجب ، ولكن لعلة نفسية مزمنة كان من أخف أعراضها أني أحسن العمل منفردًا أكثر مما أحسنه مجتمعًا . وربما جعلتني — لعنها الله — أعلم الشيء ولا أقوله ، وأسمع الخطأ ولا أصوبه ، وأرى المنكر ولا أغيره . وتلك كانت حالي معها وظل الشباب وارف ، وعود الأمل ريان ، وقوة النفس عارمة ؛ فكيف تكون حالي معها اليوم وقد بلغتُ المدى الذي بعده القصور ، والأملَ الذي بعده الذكرى ، والساحل الذي بعده النفر ؟

ولكنني استغفرت الله وألقيت بجهدي الضعيف بين جهودكم القوية . والرماد يحمَى إذا مسه من الجمر وهيج ، والجبان يشجع إذا لم يكن من العراك بُد .

أسأل الله أن يهدينا الطريق إلى خير العربية والعروبة ، ويرزقنا التوفيق في خدمة الإسلام والشرق ، في رعاية صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعز الله نصره ، وجمّل بالآداب والعلوم والفنون عصره .

احمد حسن الزيات

صور من الحياة :

زوج يضـــل !

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر — يا صاحبي — يوم أن نلت شهادة الدراسة الثانوية وأنت — إذ ذاك — فتى ربق فى العشرين من عمرك ، سمهرى القوام قوى التكوين صلب العود مشرق الوجه بهى الطلعة ، تبسم المستقبل فى ثقة وتتنسم ريح الحياة فى استبشار؛ يوم أن جئت تزف البشرى لأبيك الشيخ فتلقاك فى سرور وربت على كتفك فى فرحة ، ثم حدت تدل على رفاقك بالفوز وهو عظيم وتزهو بالتفوق وهو مبين . وسألك أبوك عن هدفك الذى تصبو إليه فقلت له « أريد أن أدرس الطب » فأطرق فى صمت وقد علت وجهه فترة ، وإن الأفكار لتصطرع فى ذهنه ، وإن الخواطر لتضطرم فى رأسه ، فما له طاقة بما تتطلبه دراسة الطب من جهود ومال ، وهو يحس لذع العوز والضيق ، وأراد أن يصرفك عن بغيتك فى لين فأصررت ، وانطلق ينشر على عينيك بعض ما يلاقى من فاقة ومتربة ، فما وعى عقلك الغض مما قاله شيئاً لأنك شاب لم تصقلك تجارب الحياة ، ولا عركتك دوافع العيش ، فأصررت . وراح هو يدير الرأى فى رأسه عله يجد منفذاً أو يهتدى إلى حيلة .

ومضت أيام والشيخ يضطرب فى لجة من الهم ، فهو لا يستطيع أن يلق السلم إلى نزعاتك ، فيدفع بنفسه إلى هوة من الدين والإملاق ، وما هو بمستطيع أن يحول بينك وبين أمنيتك ، فتستشعر الضعة والصغار بين أترابك .

وعلى حين فجأة انبسطت أساريره وانزاحت عنه غمة الأسى ، فجلس يحدثك « أحقاً يا بنى أنك تطمع فى أن تدرس الطب ؟ » قلت « نعم ، يا أبى ، ولا أبتغى به بديلاً » قال « إذن تزوج من ابنة خالك وهى فتاة يتيمة ، تجمعكما وشائج القربى وصلات النسب وهى ذات مال يشد عضدك ويمهد لك السبيل إلى غايتك » . وأزعجتك الفكرة ، بادى الرأى . فما كان لك أن تتفرغ للزوجة والولد وهما مشغلة ، وأنت تهيئ نفسك لجهاد عنيف بعيد المدى مجهول العاقبة . ولكنك ما لبثت أن أسلست لأنه تراءى لك أن الرفض حماقة تحذ حبل المستقبل ، وهو عايش يطفئ شعلة الأمل الوضاء . أسلست لتكون زوجاً ورب أسرة وأنت ما تبرح طالباً فى العشرين من عمرك .

وقال لك أبوك وقد تهيأتما معاً — أنت وزوجك — للسفر « يا بنى ، هذه زوجتك تذر دارها لترعى شأنك وإن الدار لتشرق بالنعمة والخفض ، وتنأى عن أهلها لتأنس إلى جانبك وإن قلوب ذوى قرابتها لتفهق بالحنان والعطف ، وتنزع إلى رحوابك وإن حواليها ألف رجل ورجل يفتدونها بالروح والمال ، وتنزل لك عن مالها وهو غمر لتهدأ جأشتك وتسمو إلى طلبتك ؛ فكن إلى جانبها رجلاً . والرجل إن ضاق بالمرأة زوجة لم يضق بها رفيقة ، وإن ضجر بها صاحبة لم يفزع عنها ربة دار وأماً . وإن الشهامة فى الرجل لتجعله — دائماً — يحس فى المرأة العجز والضعف ، وتدفعه — أبداً — إلى أن يجد اللذة والسعادة فى أن يحمى ضعفها ويتناضل عن عجزها . وهذه الفتاة — زوجك — منك بالمكان الذى تعرف فكن لها عائلاً وأخاً وصاحباً ؛ واستشعر — دائماً — إلى جانبها الرجولة والشهامة والإنسانية »

ودوت كلمات أبيك الشيخ فى مسمعيك فانتفض لها قلبك لأنك لمحت فيها نور السماء يتألق على لسان ملك .

وجاءت الزوجة الريفية لتعيش هنا فى — فى القاهرة — سجينة فى دارك لا تجد السبيل إلى متعة المدينة ولا إلى نور المدنية وأنت طالب لا تملك فراغاً من الوقت ولا فضلة من المال . وراضت الزوجة نفسها على الصبر فهى تقضى صدر النهار فى غمرة من حاجات الدار : تعد لك الطعام وتهيئ اللباس وتوطئ الفراش ؛ ثم هى تدعك — صدر الليل — تفرغ إلى درسك تنتظر أوبة قلبك وفراغ عقلك . وأنى لها ما تريد وأنت تسعى إلى غاية وتهدف إلى غرض ، والطريق وعر والمرتقى صعب .

وعاشت الفتاة إلى جانبك سبباً شداداً لا تجد السلوة إلا فى صلاتها وإنها لفى بيت دين وصلاح فراحت تطوى ساعات الليل فى تهجد على غير علم وصلاة على غير أساس وتلاوة فى جهل ، واندفعت فى الطريق فى غير رفق فأصابتها لوثة دينية صرفتها عن أن تكون أنثى تبهر عين الرجل بزخرف من القول وبهرج من اللباس وزينة من الحلى .

وشعلتها موجة عارمة من الفرح يوم أن تخرجت في كلية الطب فأقبلت إليك وإن إهابها ليكاد ينقد من شدة الطرب ... أقبلت تهنئك بالفوز المبين . ودوّت كلمات أبيك الشيخ في مسمعيك فانتفض قلبك وتيقظت مشاعرك فأقبلت أنت أيضاً تهنئها بنجاحك وبين يديك أولادك الصغار .

وانطوت السنون تدفعك إلى ذروة المجد وترفعك إلى قمة الثراء فما حدثتك نفسك مرة واحدة أن تطب لمرض زوجك ، وهو عنته دبي ، وأنت مَنْ بذرت غراسه في نفسها حين أرهقتها الوحدة وأمضتها الخلوة ؛ وأنت في شغل لا تعبأ بما يعتريها من ضيق وملال ولا تلق بالاً إلى ما يجتاحها من ثورات نفسية ، فانطلقت — وأنت طبيب — تقضي سحابة النهار في المشفى ، وتطوى هزيعاً من الليل في العيادة يخلبك بهرج المال ويجذبك لألاء الغنى . والطبيب ساحر يعصر دماء المرضى فتتدفق في جيبه سيلاً من الذهب .

ثم حالت حالك ؛ فأنت لا تدخل الدار إلا ثائراً تضطرم ، ولا تحدث أهلك إلا غاضباً تحتدم ، تفزع عن زوجك في غير رحمة ، وتهر في أبنائك في غير شفقة . وتفتحت عيناك على أشياء كنت — من قبل — في عمى عنها ؛ فأنت لا ترى في الدار إلا القاذورات تتناثر هنا وهنالك فتبعث فيك الاشمئزاز ، وإلا الرائحة النتن تفوح من نواحيها فتتقزز لها نفسك ، وإلا التشعث يملأ أرجاءها فينفث فيك الثورة والاضطراب ، ثم لا تسد أنت الثغرة في رفق ولا ترأب الصدع في لين .

ليت شعري ، ما ذا دهاك فطمّ على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوي في مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان ملَك !

لقد عشت زماناً ترى في عيادتك القد الأهيف والكشح المضمر والثوب المفهاف، وتحس الابتسامة الرقراقة والخد الأسيل والشعر السبط ، وتنتشق شذى العطر الجذاب ؛ على حين لا ترى في دارك سوى زوجة بلهاء في ثوبها الأبيض الفضفاض تتنحى ناحية من حجرة وتنطوي على أورادها تتلوها في حركة رتيبة يملها القلب وتضيق بها النفس .

وراح عقلك الكبير يقارن بين الفتاة التي ترى في الشارع وفي العيادة وبين زوجك الريفية الجاهلة ، فسيطر عليك الأسى واستولى النفور على قلبك ، ونسيت يوم أن كنت فتى في العشرين من عمرك ... ، فما استطعت أن تكتم نوازع نفسك فجلست إلى صديق لك تبثه لواعج الفؤاد ولوعة النفس فقال لك « لا بأس عليك ! إن في الأرض مراغماً كثيراً وسعة » فقلت له « وماذا تعني ؟ » قال « تتزوج من ابنة فلان باشا ، وهي فتاة في روعة الجمال وأبهة العظمة وسمو الجاه ومنتهى الثراء ، تتوثب شباباً وظرفاً وتتألق أناقة ورقة ، فيها ثقافة الشرق وتربية الغرب ، تتحدث في طلاقة وتأسر في لباقة » قلت في دهشة « وابنة خالي ، ابنة خالي ؟ » قال الرجل « ابنة خالك ؟ ذرها في بيتها بين بنيها وأورادها ... إنها لن تجد فقدك فهي في شغل عنك وإن لك من ثرائك ما يكفل لها عيشة راضية وحياة طيبة » قلت « ولكنها هي ... هي ربة نعمتي ! » قال « هذا حديث لفظه السنون في ملاءة النسيان ! » قلت « وأنا ؟ ... لقد قاربت الأربعين » قال « هذا وهم باطل فأنت ما تزال في ربيع العمر تفور نضارة وشباباً » .

لشد ما أفزعتك الخاطرة — بادىء ذي بدء — فقضيت ليلتك تتقلب في فراشك تدير الرأي علك تهتدي . والشيطان إلى جانبك يزين لك الأمر ويفترك من زوجك وأولادك الأربعة . وقالت لك نفسك « هناك في كنف ابنة الباشا تجد السعادة والرفاهية والثراء والجاه جميعاً » .

وانطوت الأيام والشيطان يوسوس لك وصاحبك من ورائه يزخرف القول وينمق الحديث . وعلى حين غفلة ارتفعت صيحات الشيطان في قلبك فطمت على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوي في مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان ملك .

وفي ذات ليلة ، انطلقت برفقة صاحبك إلى دار الباشا لتصبح زوج اثنتين ، ولتطعن قلب المرأة التي ضحت في سبيلك بما لها وشبابها لتكون أنت طبيباً عظيماً تستطيع أن تتزوج من ابنة الباشا ، لتطعن قلبها طعنة قاسية تعصف بهدوئها وتهدم سعادتها .

آه ، يا صاحبي ، لو رأيت عبرات بنيك وهي تنهمر مدراراً ليلة عرسك . لقد كانت تتساقط على قلبي — قلبي أنا الإنسان — قطرات من نار تلهب لظى وشواظاً . أما أنت فقد فقدت — حينذاك — رجولتك وإنسانيتك في وقت معاً

يا صاحبي ، إن الزوجة تلق بنفسها في رعاية الرجل لتتشبث منه بخيوط ثلاثة : الرجولة والشهامة والإنسانية .

كامل محمود حبيب

صحائف مطوية فى السياسة العربية :

هاشم الأتاسى

فى سنة ١٩٣٩ وفى عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزى بك

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

لقد رأيت فى العدد الماضى وطنية هاشم الأتاسى تتجلى أمام الفرنسيين حينما اعتزل الحكم بإرادته ، وقد أعجبت بهذا الموقف وقلت إنه بنسدر أن نجد الكثيرين من أمثاله فى القرن العشرين وسط المشتغلين بالمسائل العامة فى هذا الشرق ، وسأقص عليك فى هذه الكلمة شيئاً من تردد السلطات الفرنسية ، وماذا كان جزاء وطنيته وإخلاصه من بعض أولئك الذين فرض من المبدأ أن يكونوا من معاونيه وأنصاره ، فإذا هم الذين عناهم أبو الطيب بقوله:

كدعواك كل يدعى صحة العقل
ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

ولقد أشرت فى الكلمة السابقة إلى مذكرات رجال السياسة والحكم التى نشرت بمختلف اللغات ، وكيف نحتاج إليها مثلى للوصول إلى ضبط الكثير من الحقائق ، ومن قبيل هذه المذكرات أو أهمها مذكرات الجنرال كاترو ، فقد أبلغنى صديق كريم أن الجنرال بدأ بنشرها فى جريدة الفيجارو الفرنسية ، وكان بودى أن أطلع عليها قبل كتابة هذه الكلمة ، فلم أستطع الحصول عليها كاملة بمصر ، وعليه قُدِّر علىّ أن أنتظر حتى يتم طبعها كاملة كما قيل لى ، فأبدى رأيى فيها كقارئ ، أو كرجل لمس عن قرب شيئاً من الحوادث التى تتناولها هذه المذكرات .

ولقد أشرت إلى تعدد مقابلاتى مع الجنرال طول شهر مارس ١٩٤٣ وكان أغلبها فى دمشق التى كان يفضل الإقامة فيها ، بل وصرح مراراً أنه يعمل على نقل المفوضية العليا الفرنسية من بيروت إليها ، وأعتقد أنه لولا ما صادف كاترو من اعتراضات معينة من بعض الفرنسيين الذين يعملون معه ، ولولا تأثير الوسط البيروتى لنجح فى قصده هذا مدة وجوده بسوريا ولبنان على الأقل .

واذكر فى إحدى هذه المرات التى قابلته فيها بمدينة دمشق وكان قد دعانى إلى قصر المفوضية بالمهاجرين ، فتعمد أن يضع على المدخل مفرزة من حرس الفرقة الجركسية لتحية ضيوفه ، على مثل ما كان يعمل الجنرال ويجان ، ولما قابلته أخذ يطوف بى فى أنحاء الدار ويشرح لى محتوياتها ويشير بإعجاب إلى ما بذلته مدام كاترو فى تهيئة حجراتها والحصول على الأثاث اللائق بها وكيف وفقت رغم ما يعترضها من صعاب فى تنسيق الدار وجعلها صالحة لإقامة مندوب فرنسا الأعلى وقائد جيوشها .

والحقيقة أن الدار ظهر عليها فى ردهاتها ومقاعدها وأركانها هذا الذوق الشامل الذى تفرغه يد السيدة إذا تولت بعنايتها تهيئة الدور الرسمية فتجعل منها بيوتاً تصلح للاستقبال .

لقد كان الجنرال مرحاً فى كلامه مع المدعوين ، ولما آن موعد انصرافهم أراد أن يتحدث حديثاً خاصاً معى فاستبقانى لديه على انفراد ، والجنرال محدث لبق بدأ حديثه عن القاهرة وعن منزل فى لبنان لشخص معين يسكن بيروت ويريد أن يؤجره للجنرال ومع ذلك يزج بأسماء معينة فى مصر ويضحك كثيراً من أساليب بعض الناس فى حياتهم الخاصة والعامة ، والحقيقة أن ابتداء الحديث السياسى عن صفقة فيها منزل للإيجار يحمل فى ثناياها نكتة من أبدع النكت ، وفى كلامه عن خلق هذا الوجيه الثرى ما يجعل السامع يتجه اتجاهاً معيناً نحو حكمه على كثير من الأمور ، ولولا أن منافسة الجنرال من كبار القوم فى بلادنا لما بدا أن لهذا الحديث موضعاً ، ولكن الجمع بين هذا ووضعه فى الإطار الذى فتح الجنرال حديثه به يجعلنى فى حل أن أقول : أن الجنرال أعطى صورة واضحة لما كان يدور فى تلك الأيام وأراد بظرف ولباقة أن يعرفنى بالإشارة كما يقولون ما لم يرد أن يصرح به . ولكنه حينما تحدث عن هاشم بك الأتاسى : أشاد بوطنيته وإخلاصه لبلاده وقال : « أنه على رأيه دائماً فى أن قيام الدولة السورية وعلى رأسها هاشم بك أمر يرحب به ويكون من نفره إذا تم » .

إننا معاشر الشرقيين تبدو لنا بعض الأمور وكأنها لا تستحق عنايتنا واهتمامنا : كما تبدو لنا أمور أخرى ذات أهمية خاصة مع أنها قد لا تترك أثراً لدى الغير ، من قبيل هذا اعتزال هاشم بك للحكم فالأثر الذى يتركه فى نفس الأوروبيين لا ينسى ، وقد حدثنى الجنرال فقال إنه دعى هاشم بك للغداء لديه وعلم إنه نزل فى فندق أوريانت بالاس ولما انتشر خبر زيارته لدمشق تهافت الناس وذهبوا لرؤيته بالفندق وتحادثوا معه وأعربوا عن آمالهم فى عودته ... فهو رجل يتمتع بمنزلة خاصة لدى الشعب .

ذكر لى هذا عند كلامه عما يدور بخلده من ضرورة إبدال

الوضع الذي قام مؤقتاً في سوريا عقب وفاة المغفور له الشيخ تاج الدين الحسني. ولكني لست هذا الإنصاف لهاشم بك في صفوف الفرنسيين من أعداء الكتلة الوطنية نفسها.

وفي هذا الاجتماع الأخير لخص الجنرال ما قام به من جهود في الفترة الأولى لشهر مارس ١٩٤٣ فقال إن دائرة أحاديثه اتسعت رويداً رويداً فشملت عدداً من السياسيين الممثلين لمختلف الأحزاب والدوائر في سوريا وأبدى رأيه في كل شخص وفي اتجاهات الأحزاب وتعاونها وتنافسها، وقد اطلعت بعد أيام على ما نشر به المفوضية على الصحف وقد أشارت إلى أن الجنرال والى استشاراته ويستمع إلى رؤساء الوزارات ورؤساء المجالس النيابية في الأحداث والأوضاع والحلول المقبلة — وزادت على ما سمعنا رؤساء الهيئات الاقتصادية والمالية وهذا مالم يرد له ذكر في أحاديثه.

ولم يقتصر اتصاله على دمشق بل سافر إلى حلب وحمص ودعا إليه رؤساء العشائر والمناطق البعيدة وكان طول مدة شهر مارس في عمل مستمر واتصال دائم وكلما تعجلت السياسة البريطانية أو الأمريكية الأمور كان رد الفرنسيين أننا ندرس ونبحث ونستشير ونحقق حتى يأتي عملنا مطابقاً للمصلحة العامة ولكسب الحرب.

كتبت في كتاب الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا ص١٧ « أن الجنرال كاترو يجمع في شخصه بين القائد والسياسي معاً وقد برهن على أنه صاحب عزيمة ودهاء، وفكرة ومقدرة » ص٧٧ وأزيد على هذا أنه محدث من الدرجة الأولى لا تغادر الابتسامة وجهه، وهو يشعرك من أول مقابلة أنك موضع ثقته وأنه يحدثك بصراحة تامة وهو لن يخفي منك شيئاً مما يجول بنفسه ولكنه في الحقيقة إنما تكلم لا يعطيك إلا ما يريد هو إعطاءه.

وإذا عرض لشخصيات معينة أعطاك من كل واحدة منها صورة حية لا تنكرها في الشخص المعين، بل يرسم لك مزاياه فتخرج وتكاد تشعر بأن جميع الناس من أصدقائه وأنه معجب بالنواحي الطيبة التي لمسها في كل واحد منهم.

ولا أخفي على القارئ أن الجنرال كاترو ترك أثراً عميقاً في نفوس من اتصلوا به، فقد جاءني رجال لم يكونوا في يوم من الأيام من أصدقاء فرنسا، وأبدوا لي دهشتهم لهذا التطور الذي بدا من غير تهيئة في جانب الفرنسيين حتى صرح أحدهم بقول: أنه يكاد يصدق أن هذا الجنرال راغب كل الرغبة في أن يرى البلاد السورية متمتعة باستقلالها.

وقد ظهر لي جلياً أن الجنرال كاترو كان من بين الفرنسيين القلائل الذين أدركوا قبل الأوان صعوبة مركز فرنسا في سوريا ولبنان مع وجود الجيوش البريطانية فيها، وكان هناك فريق منهم بعيش سنوات ١٩٤٣ — ٤٤ — ١٩٤٥ على غرار ١٨ — ٢٠ ١٩٢١ حينما وجدوا البريطانيين قبلهم في البلاد: وجاء كاترو فكان بين أمرين.

١ — أما التظاهر بالتعاون مع الحليفة إلى نهاية الشوط.
٢ — وأما التصادم من المبدأ معها

وقد فضل أن يجاريها في سياستها وأساليبها مع احتفاظه بحقوق بلاده، ولكنه لم يجد إخلاصاً ولا تعاوناً ولا تفهماً من معاونيه، ولذلك لم يلازمه النجاح الذي كان من المرجح أن يلاقيه

كنا ننتظر الوصول إلى نتائج حاسمة في النصف الأول من شهر ما حينما جاء المولد النبوي الكريم فاضطر الجنرال الفرنسي إلى قطع استشاراته لحضور الاحتفال به في بيروت، حيث أقيمت احتفالات رأى فيها المسلمون فرصة للاعراب عن وجودهم، ورأت فيه فرنسا فرصة لإعلان احترامها للنبي العربي.

ثم حدث تصادم لطائرة فرنسية مات فيها الكولونيل باريل وجرح فيها الجنرال ماسيت، وقد أقيمت جنازة عسكرية شائقة للفقيد الفرنسي وسارت فيها وحدات الجيوش الفرنسية المختلفة وقد تسلحت الكثير من عتاد الحلفاء وبملابسهم وأحذيتهم وألقى الجنرال كاترو كلمة رائعة في رثاء الكولونيل القتيل كانت خير ما يمكن أن يعبر عن عتاد فرنسا القائمة — وآمالها.

لا أدري إذا كانت بعض المصادفات تؤثر في اتجاهات معينة وعلى كل فإنه بقدر تحمس الفرنسيين للوصول إلى هاشم بك في تلك الفترة بقدر ما قامت المصاعب أمامه من ناحيتين: الطريقة التي سيعود بها إلى الرياسة هل تكون بناء على دعوة الجنرال وكيف تصاغ ثم الناحية الثانية: وهي ازدياد شقة الخلاف بينه وبين أنصاره.

ومرت الأيام وكان الجنرال قد ترك دمشق وعاد إلى بيروت تاركاً أمر المشاورات في سوريا لمعاونيه: ثم عاد في الفترة الأخيرة من مارس إليها.

وفي يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٤٣ تلقيت منه كتاباً مطولاً يعرب فيه عن أسفه لأنه لم يوفق إلى إقناع هاشم بك الأتاسي بالعودة إلى وزارة الجمهورية مرة أخرى ويلتقي فيه ما استقر عليه الرأي في النظام الجديد الذي سيباشر التمهيد للانتخابات.

والحقيقة إننا جميعاً دهشنا لهذا الموقف الأخير، وقد سافرت

الاتحاد الإسلامي

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

قد كنت ولا أزال من أشد المتحمسين لفكرة إنشاء اتحاد إسلامي عالمي يضم الشعوب المتجانسة والدول المتجاورة الممتدة من الباكستان شرقاً إلى تركيا ومصر غرباً ، وربما يتسع نطاقه فيما بعد في الناحيتين الشرقية والغربية إلى أندونيسيا والمغرب الأقصى . وأزعم بالقول بأن المسلم الهندي آمن قلبه إيماناً وإخلاصاً لهذه الفكرة التي ازداد طموحه إليها بعد أن نجح في خلق أداة قوية فعالة ، ألا وهي دولة الباكستان المساهمة في إبرازها إلى حيز الوجود .

ولكن نظرة المسلم الهندي إلى العالم الإسلامي إنما كانت إلى وقت غير بعيد نظرة عاطفية خيالية هي أبعد شيء عن الحقيقة والواقع؛ فإنه كلما حول وجهه إلى تلك الرقعة الشاسعة التي يقطنها المسلمون من العرب والعجم والترك رأى دولا قيل إنها مستقلة ، وتيجانا ربما ادعى أنها ترمز إلى مجد الإسلام الثابر ، وشعوبا مسلمة تؤلف الأغلبية الساحقة في حدود بلادها — الصفة التي كانت تنقص المئة مليون من المسلمين في الهند للوحدة والتي كان انعدامها مصدر جميع آلامهم وأخطارهم في المستقبل . لم يكن المسلم الهندي ليتصور أن يكون هناك أي مانع عند تلك الشعوب المتماسكة والدول المستقلة من الاتجاه إلى التضامن والاتحاد على أساس الدين الذي كان ولا يزال يعتقد — حسب فهمه هو — إنه ملك وسياسة قبل أن يكون صلاة ودعاء . ومما ساعده على هذا الظن — الخاطئ مع الأسف — تلك الألقاب الفخمة المشعرة بحماية الدين ونصرة الإسلام والمسلمين التي يتحلى بها بعض الأمراء والأعيان في الأقطار المختلفة (كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد) ومظاهر أخرى مثل صدور الفتاوى من مشيخة الأزهر « إلى العالم الإسلامي كله » تلك الفتاوى التي عرفت الآن أنها لا تصدر عن شعور داخلي حر بخير « العالم الإسلامي كله » ولا عن دراسة وافية للأحوال والظروف الخاصة بالمسلمين في الأقطار المختلفة . بل إنها ربما تستصدر لمصلحة عاجلة . ويا حبذا لو أن كبار العلماء تنازلوا عن سلطتهم المنتحلة هذه كما فعلت تركيا حينما ألغت الخلافة بعد ما رأت عجزها عن إسداء أي عون مادي أو أدبي إلى ما يسمى بالعالم الإسلامي .

كان من الطبيعي أن تتغير نظرة المسلم الهندي هذه في الأيام الأخيرة على أثر التقارب عن طريق التمثيل الدبلوماسي وتبادل الزيارات . ولذلك قد عرف أن المانع الحقيقي من التقدم نحو الاتحاد ليس عاملا خارجيا أجنبيا بل هو داخل نفوس إخوانه المسلمين الذين أصبحوا غير مستعدين لقبول هذه الفكرة . وقد اقتنعت أنا شخصيا بصدق ما صرح به البانديت جواهر لال نهرو ، رئيس وزراء الهند ، عقب زيارته الأخيرة للقاهرة من أن أي اتجاه إلى التكتل على أساس الدين في الشرق الأوسط أمر مستحيل ، فاستعنت باليأس على التغلب على ما غمرني من القلق وبدأت أغتبط بواقعية رجال الحكومة الباكستانية حينما لاحظت فتوراً في تصريحاتهم إزاء أي حلف رسمي ، وظننت أن الفكرة قد وضعت على الرف أو كما يقولون في الثلاجة إلى أن تنبعث من داخل قلوب المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية على السواء حتى يجيء الاتحاد نتيجة لشعور عام صادق متدفق قوي .

ولكن ظهرت في الأسابيع الأخيرة بوادر تنذر بأن يتم على أيد أجنبية خفية ما لم يكن ليتحقق بالرغبة الذاتية فأثارت في نفسي خواطر رأيت أن أدعها حتى يتبين كل منا حقيقة فكرة الاتحاد الإسلامي من أي صورة ممسوخة له ربما تساور بعض الأذهان في الوقت الحاضر .

إن فكرة الاتحاد الإسلامي فكرة دينية بحت ترتكز من حيث المبدأ على الشعور بالأخوة وواجب المساهمة في الآلام نحو كل من يشارك الآمال وأهداف الحياة . ومن الواضح أن هذا الشعور داخلي شخصي اختياري محض ولا يحتاج وجوده إلى أية مبررات من المصالح السياسية أو الاقتصادية مع أن تلك الفوائد لا بد وأن

إلى دمشق أنصت إلى كل ما قيل في هذا الشأن وقيدت الكثير منه : ومع أن الكثيرين يلقون السبب على الفرنسيين فإن هؤلاء يشيرون إلى أعوان هاشم بك وأنصاره ورجال السياسة السوريين ويعدونهم المسئولين عن تردده . أما أنا فاعتبرتها المفاجأة الثانية .

أحمد رمزي

تنتج منه وتوافقه إذا أحكم تدبير الوسائل الفنية اللازمة لها . فالاتحاد الإسلامي بطبيعته يأبى إلا أن يكون اتحاداً بين الشعوب الإسلامية بعد أن تتجرد هي الإيمان بالفكرة الدينية في تنظيم حياتها الداخلية وتدعيم علاقاتها الخارجية والدولية .

فما حال الشعوب الإسلامية في الآونة الحاضرة ؟ ليس الكلام عن تركيا بصعب ؛ فإنها جريئة صريحة تحدث ما تحدث عن علم . أما الممالك العربية فتكاد تجد لها ممثلين ومساتين في جميع المؤتمرات مهما اختلفت أنواعها وتضاربت أهدافها ، وقلما تلاقي خطة واضحة مرسومة بعيدة المدى في تصريحاتها أو تصرفاتها . وقد خيل إلى فيما يتعلق بالموضوع الذي نحن فيه أنها حريصة على الاحتفاظ بالشرف الذي كان لها بحق من حمل لواء الإسلام في الماضي ولكنها في الوقت نفسه تتوق وتجهد وتتكلف ما يسمونه « مسايرة الغرب » باحتضان كل ما جد من النظريات والاتجاهات السياسية كما أن النساء المتجملات يلهجن بكل ما تبتكره باريس من الأزياء — حتى الذيول الطويلة !! — كل صيف وشتاء ؛ أو لا ترى أنها ثارت مطالبة بالاستقلال والوحدة فكان من حظها الاستعمار والفرقة . ولا ضير في ذلك فإن الأمم كالأفراد كثيراً ما تخطىء حسابها وتفشل في خطتها ولكنها سرعانما رضيت بالفرقة وبدأت تعتز وتباهي بالفوارق الوطنية فيما بينها كالأصل الفينيقي والحضارة البابلية والمدنية الفرعونية وما إلى ذلك مما نبشه الباحثون المستشرقون لتلهيتها « عن كل مكرمة » واستمر الحال كذلك طيلة الفترة ما بين الحربين إلى أن تغيرت الأوضاع الدولية وتدهورت الأحوال رأساً على عقب ، فهتف هاتف من الغرب بضرورة الاتحاد فارتجلوا اجتماعاً بين الملوك واجتماعاً بين الحكومات على ميثاق الجامعة العربية. ومنذ ذلك الحين و « العروبة » يخفق لها قلب كل عربي . وكلمة العروبة أو القومية العربية لم تكن واضحة المعالم أبداً وهذه هي نقطة الضعف لاشك فيه ، فإن زعماء الثورة الأولين لم يعنوا حينما نطقوا بها شيئاً يعارض الوحدة الإسلامية . وليس أدل على ذلك من أن طوائف معينة معروفة باتجاهها الاستعمار الأجنبي اعترضت سبيلها ولم تزل تناوئها حتى أرغمت الأكثرية العظمى على تلطيف ، بل تغيير مدلولها تغييراً جوهرياً بحيث أصبحت تعبر عن أهواء الذين يعادون الفكرة الدينية الإسلامية لا لشيء إلا لولائهم لذويهم ؛ كفى بذلك شاهداً ما جاء في كتاب نبيه أمين فارس المسمى بـ « العرب الأحياء » والنشورات الأخرى الحديثة عن مقومات العروبة التي لا بأس بأن يدخل فيها كل شيء من عصور ما قبل التاريخ إلى العهد الحاضر ما عدا الدين الذي يراد إبعاده عن حياة الغالبية العظمى من العرب . وأخيراً تصادف أن فقدت هؤلاء الطوائف ربيبة الاستعمار عمادها أو القط الذي كانت هي بمثابة المخلب له وذلك في وقت نجحت فيه فكرة فصل الدين عن السياسة بين المسلمين نتيجة لضعفهم وخيبة آمالهم ، فلبست الحال الجديدة لباسها — لباس الوطنية الصادقة (ولكن مع ضمان وضع خاص فليتأمل !) — حتى جاء الاعتراف باستقلال لبنان الذي لم يرض به كثير من الوطنيين المخلصين إلى آخر لحظة ، رمزاً للتبرؤ من العون الأجنبي من جهة والفكرة الدينية من جهة أخرى . وبعد بضع سنوات أصبح هذا الوضع ، بفضل الجامعة العربية ، من المبادىء الأولية التي ربما ينطوي الإسهاب في الكلام عنها على مجازفة خطرة .

قامت الجامعة العربية فابتهج بها المسلم الهندي كما أنه ابتهج بميثاق سعد آباد أو أي مظهر آخر للتقارب بين المسلمين حتى زواج الأميرة فوزية من جلالة شاه إيران ، وربما عبر عن ابتهاجه بما ينبيء عن اعتقاده بأن الكتلة العربية أشد ارتباطاً بالمسلمين في الأقطار الأخرى من شقيقتها و (بتروتها) الكتلة اللاتينية فحفزت الجامعة مرات عديدة لإنقاذ سمتها كهيئة إقليمية محضة ونفت اهتمامها بالدين وأهل الدين حتى لا تنسد عليه صفقة الأصوات . وهكذا مضت الجامعة في تنسيق السياسة الخارجية للدول العربية تتوخى كسب الأصوات وتبادل « المواقف » — الذي يستلزم في بعض الأحيان التهاون في الحق — تحاول تهدئة فرنسا في دورة للأمم المتحدة ومساومة أسبانيا في دورة أخرى حتى أثبتت حوادث فلسطين أنها لم تكن خلقت لمثل هذا العمل ؛ وعلى كل حال فإن الجامعة العربية ، مع أنها لم تكن تصلح من حيث تركيبها لمقاومة الاستعمار إلا إذا كان من نوع معين ، أيقظت شعوراً قوياً بين الشعوب العربية نحو التآلف والتآزر حتى أن هذا الشعور المتدفق ربما سبب متاعب للحكومات المصطنعة الغير الممثلة المشتركة في الأمور ، ولكن يجب التصريح بأن هذا الشعور إنما كان مبنياً على أساس العروبة وتناسي الدين أعني الإسلام .

(البقية في العدد القادم)

السيد محمد يوسف

ركن المعتزلة :

علم الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

إن الكلام فى علم الله يختلف كل الاختلاف عن الكلام فى المعرفة عند الإنسان ؛ لأن علمنا يتكون تدريجياً ونحن نصل إلى المعرفة بفضل مجهود فكرى مستمر نبذله فى فهم الحقائق والوقائع؛ ونمر هكذا بمراحل أدناها مرحلة الجهل وأعلاها مرحلة المعرفة ؛ ولكن كم تصادفنا من مراحل نشك فيها ونتردد وننعم التفكير ونجلى الأمور ونتخذ القرارات ثم نغيرها أحياناً ونتمسك بهـا أحياناً . وهذا التدرج فى تكوين المعرفة برهان قاطع على عجز العقل البشرى وعدم كماله .

وإذا ما تكلمنا عن علم الله فلا يجوز أن نقارنه بعلمنا ولا أن نحاول فهمه بتشبيهه بعلمنا لأنه لا توجد أدنى مشابهة بين المتناهى واللامتناهى ولا بين الكامل والناقص .

لذلك كان الجبائى[1] لا يسمى الله فهما ولا فقيهاً ولا موقنا ولا مستبصراً ولا مستبيناً لأن الفهم والفقه هو استدراك العلم بالشىء بعد أن لم يكن الإنسان به عالما[2] واليقين هو العلم بالشىء بعد الشك ، وكل هذا يدل على التبدل والتغير فى مراتب العلم ولكن لا يوجد أى تغير فى الله وهو فى حالة ثبات كامل لأن علم الله هو هو أعنى هو ذاته وذاته أزلية كاملة لا تغير فيها ولا تبدل .

ولما كان الله لم يزل عالما بكل الأمور فعلمه منذ الأزل كامل شامل كل شىء حصل وسيحصل . ولكن هناك مسألة بحثها المعتزلة على النظر وجاء البحث مؤيداً لقولهم بثبات علم الله منذ الأزل ، وهذه المسألة هى :

(١) هو أبو علي بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ولد فى جبى فى الجوزستان ثم جاء البصرة وتتلمذ للشحام المعتزلى شيخ المعتزلة حينئذ فى البصرة . ومن تلاميذ الجبائى الأشعرى رأس الأشاعرة لانظر الفهرست لابن النديم ص ٦ وكتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ

(٢) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٢٦ .

هل يجوز كون ما علم الله أنه لا يكون ؟

ترد المعتزلة على هذا السؤال بالنفى طبعاً . ولكن ذلك لا يمنعهم من تحليل السؤال تحليلا دقيقاً ليبينوا استحالته . فنجد مثلا الأسوارى[1] يشطر السؤال شطرين هما أولا : يجوز كون شىء أعنى أن الله يقدر على الشىء أن يفعله ، وثانياً : الله عالم أن هذا الشىء لا يكون وإنه أخبر أنه لا يكون . ويقول الأسوارى إذا أفرد أحد القولين عن الآخر كان الكلام صحيحاً ؛ أما إذا اقترن القولان كان ذلك مستحيلا . وذلك على عكس ما هو عند الإنسان ؛ لأنه ليس من المستحيل أن نلاحظ عند الإنسان فرقاً بين معرفته لعمل واجب أداؤه والامتناع عن أداء هذا العمل ؛ لأن الإنسان قادر على الضدين فى حين أن الله لا يوجد فيه تغير ، وعلمه وإرادته وقدرته تعالى هى ذاته وذاته لا تتغير[2] .

وهناك رد آخر على هذا السؤال . فتقول المعتزلة : إذا علم الله أن حدثا أو عملا أو شيئاً لن يحدث لعجز أو استحالة فى الحدث أو العمل أو الشىء نفسه (مثل تربيع الدائرة أو إرسال المؤمنين إلى النار) أو لعجز من قبل الله على حدوث هذا العمل أو الشىء إذ أن حدوثه ينافى النظام والقوانين المسنونة للعالم منه تعالى ، فإن هذا الحدث أو العمل أو الشىء لم يحدث أبداً ما دام وجد العجز أو الاستحالة[3] .

فى هذا الرد نجد اعتقادين راسخين عند المعتزلة وهما أن العالم خاضع لنظام كامل تام مطابق لعلم الله ؛ وبما أن علم الله لم يزل ثابتاً فنظام العالم ثابت أيضاً لأنه لو تصادف وأصبح هذا النظام غير مطابق لعلمه تعالى فعلمه لم يعد كاملا . وبما أن علمه هو ذاته فتصبح الذات والحالة هذه غير كاملة أيضاً وهذا تناقض .

وتزيد أكثر المعتزلة على ذلك قائلين : ما علم الله أنه لا يكون لاستحالته أو لعجز منه يجوز أن يكون على شرطين : أن يرتفع العجز عنه وإن تحدث القوة عليه . ولكن فى هذه الحالة كان الله لم يزل يعلم برفع العجز عن هذا الشىء وبحدوث القوة عليه .

(١) من أصل فارسى تلمذ لأبى الهذيل العلاف والنظام . توفى حوالى سنة ٢٠٠ هـ

(٢) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٦٦ . الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٩ و ٥٦٠ .

(٣) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٦٢ .

وهنا لا يناقض كماله تعالى .

فنلاحظ أنه مهما اختلف وضع المسألة فالحل واحد وهو أن المعتزلة تردد دائماً أن الله لم يزل عالما بالأشياء كلها ولا يجوز حدوث شيء إلا وهو لم يزل يعلمه .

* * *

لما كان الله لم يزل يعلم كل شيء فكيف يمكن أن نتكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان لأعماله ؟ أهو حر فعلا أم مجبر ؟ إنها لمسألة في غاية الدقة والأهمية وهاك رأى المعتزلة فيها .

علم الله ومصير الإنسان في الآخرة :

يحدثنا ابن حزم عن رأى لهشام الفوطى المعتزلي تشاركه فيه جميع المعتزلة لأنه يعبر عن أصل من أصولها في علم الله . يقول هشام : إن من هو الآن مؤمن عابد ولكن في علم الله إنه يموت كافراً فإنه الآن عند الله كافر . وإن من كان الآن كافراً مجوسياً أو نصرانياً أو دهرياً أو زنديقاً ولكن في علم الله أنه يموت مؤمناً فإنه الآن عند الله مؤمن[1] . فلا غرابة في هذا القول إذ أن علم الله لا يتغير ؛ فإذا علم الله منذ الأزل أن فلانا سيموت كافراً ولو آمن وقتاً من الزمن فإنه عند الله كافر ؛ لأنه تعالى لم يزل يعلم أن بعد إيمان هذا الشخص كفراً . ولا يجوز أن نزيد كفر المؤمن شيئاً في علم الله — هل يعني ذلك أن لا قدرة للإنسان على أعماله لأن الله لم يزل يعلمها ؟ نحن نعرف أن المعتزلة « أهل عدل » أيضاً أعني أنهم يقولون إن الإنسان قادر على أعماله محاسب عليها — فكيف يكون التوفيق بين القولين إن الله لم يزل يعلم كل شيء ، وإن الإنسان قادر على أعماله ؟

هناك حل دقيق أتى به الجبائي ليوفق بين هذين القولين . فيقول : لنفحص الحالات الثلاث الآتية :

أولاً : يقول الجبائي إذا وصل مقدور بمقدور كانت النتيجة إيجابية صحيحة ؛ مثلا لو قلنا إذا آمن الكافر (شرط أول) وكان الإيمان خيراً له (شرط ثان) لأدخله الله الجنة (النتيجة الصحيحة لهذين الشرطين) والمقدوران هما : العودة إلى الإيمان بعد الكفر — الإنسان في إمكانه أن يعود إلى الإيمان — وإذا لم تخبر الله عما يناقض ذلك فتكون هذه الحالة الأولى صحيحة .

عند تحليل هذه الحالة نجد المعتزلة تعترف بقدرة الإنسان على الكفر وعلى الإيمان وذلك بمجرد اختياره ؛ ثم إن الله لم يزل يعلم هذا الاختيار . إننا هنا بدون شك بصدد نقطة صعبة وهي شعورنا بمقدورنا على اختيار شيء أو حال دون الآخر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى علم الله منذ الأزل بما نختاره .

وإننا تمسكت المعتزلة بالقول بقدرة الإنسان على أعماله كان تمسكها هذا صونا لعدالة الله وإلقاء المسئولية على الإنسان وحده عند ما يعاقب أو يثاب . ففي هذه الحالة الأولى التي يعرضها الجبائي برهان كاف على حرية الاختيار عند الإنسان على شرط أن يأتي اختياره على شيء ممكن جائز مقدور .

الحالة الثانية : إذا كان هناك شيئان متناقضان فلا يمكن التكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان واستحالة النتيجة — مثل قولنا أن يكون المرء مؤمناً وكافراً أو متحركا وساكناً أو حيا أو ميتاً في آن واحد . إن الإنسان لا يقدر على ذلك وحريته مقيدة أمام التناقض . فالحرية لا تعني إذن القدرة على عمل أي شيء أو ضده — وبما أن الله لم يزل يعلم مجرى الأمور حسب قوانينها فهو يعلم عجز الإنسان أمام التناقض كما أنه تعالى لم يزل يعلم قوانين العالم فكل ما يحدث فيه كان هو لم يزل عالما به .

وفي الحالة الثالثة : يقول الجبائي إذا وصل شيئان أحدهما جائز والآخر مستحيل فتكون النتيجة مستحيلة ؛ مثلا إذا قلنا إن الكافر يؤمن في حين أن الله يعلم ويخبر أنه لن يؤمن فمن المستحيل أن يؤمن هذا الكافر فتكون إذن حرية المرء مقيدة بعلم الله وإخباره . ولكنها حالات شاذة تلك التي يخبرنا الله فيها من علمه[1] .

أثر منطق أرسطو :

إن تحليل الجبائي لمسألة علم الله ومصير الإنسان هو تحليل منطقي لا شك أن لمنطق أرسطو أثراً كبيراً فيه . فمقابلته القضايا الإيجابية أولا والقضايا السالبة ثانيا واستنتاجه النتائج الإيجابية أو السالبة كل ذلك يدل على أن الجبائي كان ملماً[2] بهذا المنطق

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٤٩ .

(١) أنظر الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٥٦٠ .

(٢) تلمذ الجبائي للنظام الذي ألم بالفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة التي قام بها حنين بن إسحق في بيت الحكمة (أنظر ابن المرتضى المنية والأمل ص ٤٠ والتلطي كتاب الثنية ص ٣٢) .

مسئولية
الاحتلال الإنجليزى لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

— ٣ —

هل تقع مسئولية الاحتلال البريطانى على الإنجليز وجشعهم الاستعمارى ؟

ولم لا ؟

ألم يتعللوا للبقاء فى مصر بشتى المعاذير حتى واتتهم الظروف فكشفوا عن نيتهم الصريحة فى الاحتلال بإعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ م

ألا يدل على ذلك قصة تلك الوعود الرسمية التى قطعها باسم إنجلترا ممثلوها الرسميون « إن رغبة حكومة جلالة الملك هى أن تترك المصريين وشأنهم بعد أن تخلص مصر من الطغيان العسكرى »[1] قيل هذا سنة ١٨٨٢ م . وهنا تصريح آخر : « إن الشك الذى يخامر الرأى العام سببه رغبة بعضهم فى احتلال مصر احتلالاً مؤبداً وإدماجها فى هذه الأمبراطورية . وتلك غاية نحن مصممون على مدافعتها وعلى ألا نسعى إليها بحال من الأحوال »[2] بل لقد ذهبت إنجلترا إلى أبعد من ذلك فحددت تاريخاً معيناً للجلاء . وأى والله حدث هذا « إن حكومة جلالة الملك تريد أن يكون سحب الجنود فى أول عام ١٨٨٨ م »[3]

لقد أورد المستر بلنت فى مقدمة كتاب (تاريخ المسألة المصرية) قصة هذه الوعود الرسمية ثم علق عليها بقوله « حقاً إنه ليس فى تاريخ جميع إجراءات إنجلترا الاستعمارية عهود كهذه بذلت ثم نقضت » .

إن قصة ضرب الاسكندرية لا تحمل فى طواياها إلا حجة الذئب حين أراد التهام الحمل . لقد كانت نية الاعتداء المتعمد واضحة منذ البداية . وإلا فلماذا أتى الأسطول إلى ميناء الإسكندرية وبأى حق يقف فى المياه المصرية ؟ وكيف يجرؤ فيتدخل فيما ليس من حقه التدخل فيه حين يطالب بوقف أعمال الترميات فى الحصون والطوابى ويتخذ بذلك تلك الحجة الواهية لتبرير ذلك الاعتداء الوحشى .

لقد أجمع من كتب فى حوادث ذلك الاحتلال من المعاصرين أو ممن جاءوا فى أعقابه على أن نية الاحتلال كانت مبيتة لدى إنجلترا قبل ضرب الاسكندرية بكثير . وقد شاهد المستر بلنت بنفسه الاستعدادات الحربية تجرى فى إنجلترا منذ شهر يونية سنة ١٨٨٢ م .

إن إلقاء التبعة على إنجلترا مما لا يختلف فيه اثنان وهو ما حققته الحوادث فيما بعد .

ولكن مهلاً أيها القارىء العزيز فإن احتلال مصر جريمة أكبر من أن تقترفها يد واحدة كيد عرابى أو كيد الدولة العثمانية أو الخديو أو حتى يد إنجلترا نفسها .

حقاً لقد أخطأ عرابى ؛ ولكن ، من ذا الذى لا يخطىء ؟ وهل يكون خطأ عرابى سبباً فى إلقاء تبعة الاحتلال بأسره عليه

(١ ، ٢ ، ٣) تاريخ المسألة المصرية — تيودور رتشتين — مقدمة مستر بلنت .

وحاول أن يستخدمه فى مسألة من أدق المسائل وأعقدها . إنها لمحاولة جريئة وهى ليست الوحيدة من نوعها فى فلسفة المعتزلة .

***

من هذا نستخلص أن جل هم المعتزلة هو رد الصفات ومن ضمنها صفة العلم إلى ذات الله تعالى . وبما أن هذه الذات قديمة لا متناهية ثابتة فيكون العلم أيضاً قديماً لا متناهياً ثابتاً . ثم إن الله لم يزل يعلم كل الأمور وإذا كان العالم قديماً بالنسبة إلى علمه تعالى فإنه يتحقق فى الزمان تبعاً لهذا العلم — أما فيما يختص بمسألة قدرة الإنسان على أعماله فالمعتزلة تحلها بقولها إننا نشعر بحرية الاختيار وإننا نجهل علم الله وإن عدل الله يضطرنا إلى القول بهذه الحرية — وكل المسألة الأخلاقية متوقفة عليها .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

وفى تصويره بتلك الصورة التى لا تليق بهذا الزعيم الوطنى المصرى الصميم ! لقد أحس الأستاذ محمود الخفيف أن عرابى مظلوم وأن أعداءه بالغوا فى الكيد له والزراية عليه حتى قال : « والحق أنه قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً ضاعت حسناته فى سيئاته كما ضاعت حسنات عرابى فيما افترى عليه من سيئات . كذلك قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً كرهه أكثر بنى قومه مضللين ، واستنكروا أعماله جاهلين بقدر ما كره هؤلاء عرابياً »[1] .

ونحن نميل إلى هذا الرأى الأخير لا بدافع التعصب أو الرغبة فى إنصاف عرابى ولكن بدافع الرغبة فى إنصاف الحقيقة والتاريخ وكلاهما كما تبين لى ينصفان عرابى . وسأسوق من الأدلة التاريخية ما يقف إلى جانب ما كتبه صاحب كتاب « أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه » عسى أن تتغير نظرة المصريين إلى زعيم للمصريين .

ولكن ، ما هى تلك الحقائق التاريخية ؟

الواقع الذى كشف عنه البحث العلمى الحديث أن احتلال مصر كان شيئاً مقرراً ومرسوماً قد اتفقت عليه الدول الأوربية من قبل . لقد تمت حوادث الاحتلال خلال صيف سنة ١٨٨٢ م ولكن .. ولكن الاتفاق على فكرة الاحتلال نفسها كان قد سبق ذلك بكثير .

لقد كانت الوحدة الألمانية وكان ظهور بسمرك ماهل ألمانيا العظيم وأكبر سياسى سيطرت شخصيته على مجرى الحوادث الأوربية فى ذلك الحين . وكانت الحرب السبعينية (١٨٧٠) م فانتصر فون ملتكه ودخل الألمان باريس وخرت فرنسا جاثية على ركبتيها أمام جبروت بسمرك والألمان . ولكن بسمرك كان يجمع إلى القوة الحربية دهاء الساسة وحذقهم . فرأى بثاقب نظره أن حزب الانتقام يتكون فى فرنسا وينادى بأخذ الثأر من ألمانيا فلم يكن منه إلا أن فكر فى شغل أذهان الفرنسيين من المنادة بالانتقام فوجه أطماعهم خارج القارة الأوربية وأوحى إليهم بتوسيع أمبراطوريتهم الإفريقية . وهكذا أخذ بسمرك يلوّح للفرنسيين بضرورة احتلالهم لتونس ، ولكن احتلال فرنسا لتونس سيترتب عليه اختلال توازن القوى بينها وبين إنجلترا فى البحر الأبيض .

وانتهز ساسة إنجلترا فرصة تساهل بسمرك فرحبوا بفكرة احتلالهم لمصر مقابل السماح لفرنسا باحتلال تونس .

« والواقع أن فكرة احتلال إنجلترا لمصر مقابل احتلال فرنسا لتونس إنما ترجع إلى أوائل عام ١٨٧٦ حين رأى بعض الساسة الإنجليز أن على إنجلترا انتهاز الفرصة واستغلال الفرص الذى قدمه بسمرك باستيلاء إنجلترا على مصر فى مُقابل تمكين فرنسا من احتلال تونس »

وبدأت الفكرة ؛ فكرة احتلال إنجلترا لمصر تتقدم منذ ذلك الحين على يد بسمرك لا لشيء إلا لأنه يريد أن يسكت إنجلترا حين تقوم فرنسا باحتلال تونس .

وفى ابريل سنة ١٨٧٨ نجد « مونستر » السفير الألمانى فى لندن يؤيد فكرة احتلال إنجلترا لمصر ويدعو لها كما يتحمس لها فى ذلك الحين أيضاً « سولسبرى » من الجانب الإنجليزى .

وهكذا تنمو فكرة احتلال إنجلترا لمصر مع فكرة احتلال فرنسا لتونس وتسيران جنباً إلى جنب يؤيدهما ويباركهما بسمارك عاهل ألمانيا برضائه وبتأييده ونفوذه .

لقد كتب مراسل التيمس إلى جريدته فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٨ م يقول : « لقد روى لى بسمرك بنفسه أنه قال للورد بيكونسفيلد حين شاهده لأول مرة أن من صالح إنجلترا أن تتفاهم مع الروسيا على أن تدعها حرة فى القسطنطينية مقابل إطلاق يد إنجلترا فى مصر » .

وهكذا أصبح مفهوماً من ضمن أحاديث الساسة أن الاتفاق قد تم على هذا التقسيم . وحين أراد ساسة فرنسا السير جدياً فى مشروع احتلال تونس سعوا إلى الحصول على تأكيد كتابى من إنجلترا حتى لا تعود فتتنكر لما تعلمه ساستها من عهود . وقد حصل الفرنسيون على هذا التأكيد الكتابى فى ٧ أغسطس سنة ١٨٧٨ م . ثم يسعى الإنجليز بعد ذلك بدورهم للحصول على تأكيد رسمى من فرنسا بموافقتها على احتلالهم لمصر فيثيرون المشاكل أمامها فى تونس ويقفون عقبة دون القيام باحتلالها . ويتساءل الفرنسيون : « لماذا تلجأ إنجلترا إلى إقامة العقبات أمامنا فى تونس؟ إن لها فى البحر الأبيض وسوف يكون لها مصالح كثيرة ، وسوف نمد إليها يد المساعدة . ولكن هذا التلميح لا يكفى ؟

(١) محمود الخفيف . أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه . مطبعة الرسالة القاهرة . ص ٠ ٣٢ ، ٣٣

فيضطر وزير الخارجية الفرنسي « سنت هيلير » إلى التصريح « بتفوق المصالح الإنجليزية في نهر النيل وقناة السويس على المصالح الفرنسية » ثم يؤكد في ديسمبر سنة ١٨٨٠ « أنه على استعداد دائم للتصريح بأن المصالح البريطانية في مصر تفوق غيرها من مصالح أي دولة أوربية أخرى » .

وهكذا تقاسمت الدول الأوربية الأمبراطورية العثمانية وهي لا تدري . وبدأ التضامن بينها في التقسيم ينمو منذ عام ١٨٧٦ م وقام بسمرك بدور القاضي يوزع بالعدل والقسطاس المستقيم ؛ يرضي فرنسا حيناً ويرضي إنجلترا حيناً آخر ، ولكن على حساب تلك الأمبراطورية التي كانت تسير بخطى سريعة إلى نهايتها المحتومة . ولقد لاحظنا كيف تبادل المندوبون التصريحات والتأكيدات حتى لا يختل فيها ميزان . بل لقد كانت الملكة فيكتوريا نفسها — كما يتبين من خطاباتها — من أكبر مؤيدي مشروع احتلال إنجلترا لمصر وتثبيت أقدامها في وادي النيل .

وبينما كانت الصحافة الإنجليزية تمهد الرأي العام في الداخل لتقبل ذلك الحدث الجديد ؛ كانت السياسة الإنجليزية — وقد نالت تأييد بسمرك وفرنسا — قد انفردت بالتدخل في شئون مصر لا سيما بعد أن تلقى ممثلو فرنسا في مصر من وزير خارجيتها تعليمات سرية تدعوهم إلى الموافقة على ذلك الوضع الجديد .

وهكذا نجد أن وثائق التاريخ الحديثة قد أثبتت أن فكرة احتلال إنجلترا وُجدت منذ أواخر عهد إسمعيل . وأن إنجلترا بدأت تعمل جدياً لتحقيقها منذ سنة ١٨٧٦ ، وأن ما حدث من حوادث قبل الاحتلال لم يكن إلا من قبيل ذر الرماد في العيون ، فاشتراك الدول في مؤتمر الآستانة لا سيما فرنسا كان تمثيلية رائعة أريد بها التمويه على الدولة العثمانية ؛ وقد نجحت تلك التمثيلية نجاحاً باهراً ، وقل مثل ذلك في انسحاب الأسطول الفرنسي من ميناء الاسكندرية قبل ضربها وترك الأسطول الانجليزي يصول ويجول وحده في الميدان . ولماذا ؟ ألم يدع الإنجليز فرنسا قبل ذلك بعام واحد تصول وتجول هي الأخرى بمفردها في ميدان تونس ؟!

لذلك لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن الاحتلال الإنجليزي لمصر كان سيتم سواء وُجد عرابي أم لم يوجد ، وسواء قام بحركته أم لم يقم ؛ فما كان من الصعب على إنجلترا أن تخلق سبباً مباشراً لتلك الجريمة التي اشترك في إعدادها ساسة ألمانيا وفرنسا وأخيراً ساسة إنجلترا .

لقد كان الاحتلال الإنجليزي لمصر وليد السياسة الأوربية ولم يكن نتيجة للحركة العرابية .

فكيف يكون عرابي مسئولاً ؟ وكيف نتحامل عليه ؟ لقد بذل عرابي أقصى ما في طاقته ؛ ولو لم يظهر عرابي لظهر مكانه عرابي آخر ، ذلك أن عرابي كان يمثل الشعب المصري وما كانت الحركة التي قام بها حركته هو بل حركة الشعب المصري بحسناته ومساوئه في ذلك الحين .

حقاً ، لقد آن لنا أن ننصف تاريخ عرابي — الزعيم المفترى عليه بحق — وأن ننصف تاريخ الثورة العرابية لا بدافع التعصب لقوميتنا ولكن لوجه الحقيقة والحقيقة وحدها .

إن مسئولية الاحتلال البريطاني لمصر لا تقع إلا على عاتق الدول الأوربية وعلى رأسهم بسمرك .

لقد كانت الدولة العثمانية أشبه بالرجل المريض أو الكهل الهرم . كان الداء قد سرى في جميع أنحائها ؛ وكان الضعف قد دب في جميع أوصالها . واتسع الخرق على الراقع فوقفت مكتوفة اليدين لا تنشد النجاة والخلاص إلا في بقاء النزاع والاختلاف بين أعدائها .

فعلى من تقع مسئولية الاحتلال ؟!

ألست معي أيها القارىء العزيز في أنها تقع على عاتق بسمرك ذلك الرجل الذي وفق بين المتنازعين فقاموا يتقاسمون تركة نفوذه وسيطرته تركة الرجل المريض ولكن إنجلترا من احتلال مصر خرجت من عملية البر بأحسن نصيب ؟!

(الاسكندرية) كمال السيد درويش
ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالي
ومدرس بالرمل الثانوية
وعضو الجمعية التاريخية لخريجي جامعة فاروق

اقهر الحياة ...

للشاعر الفرنسي أندريه ريفوار

ترجمة الأستاذ علي محمد سرطاوي

انطلق في الحياة وامش على الشو ... ك قويا كالمــارد الجبار
شامخ الرأس والعزيمة تمضي ... فوق نار الأخفاق كالإعصار
في رحاب الحياة عش شامخ الرو ... ح أبيا يدوس وجه الغبار
احترق في الطموح والمثل الأعلى ... وما في العذاب من إسعار
احترق في الكفاح وافن نضالا ... في صميم الأهوال والأخطار
هكذا يطلب الحياة وعيا ... ذو جنان في العز والإكبار
يثبت الباسـل الظفر فيها ... وعلى ثغره ابتسام احتقار

***

إن تلاشت أحلام قلبك في يأ ... س فعاود ارجاعها من جديد
أو إذا أوهنت عزيمتك الدنيا ... فجدد عزيمة كالحـديد
أو إذا ما طوى أمانيك إخفا ... ق فلا تأس وابتهج في الوجود
خذ جناحاً وطر بما فيك من ... خيبة سعي إلى طموح بعيد
احترق قوة وضعفاً وعزماً ... وعذاباً في النار ذات الوقود
احترق صحـة وسقما وبؤسا ... وتغلب على جميع القيود
احترق في العذاب فوق أمانيك ... وعش في الحياة عيش الأسود

***

كن صبوراً على المصائب والهو ... ل ولا تشك من قراع الخطوب
كن شجاعاً وحازماً واحتمل البلـ ... ـوى وفرج ظلامة المكروب
كن إلاهاً واذكر بأنك إنسا ... ن وإن عشت في ضمير الغيوب
احترق في تجارب الدهر واصبح ... فيلسوف الأوجاع والتعذيب
احترق في لظى الإرادة واحمل ... ضربات الأسى بقلب طروب

***

ربما جودة وجدت على اللقمة ... قد أنسيت مذاق الرغيف
وسموم في شربة الماء تبدو ... في ثرى كأسها معاني الحتوف
وفتاة في قلبها يذبل الحب ... ويخبو الوفاء في التزييف
انبذ الخبز واسكب الماء واهجر ... كل قلب في الحب غير منهف
احترق صامتاً إباء وصبراً ... واحتمالاً على اللهيب المخيف
احترق عزة ولا تشك خطباً ... واغلب الدهر في الصراع العنيف
احترق ظامئاً وعش تتلظى ... جائعاً في الحياة غير ضعيف

***

لن تلاقي الهوان إلا إذا عشت ... بغير الأناة في الكائنات
واحتقار الحياة لن يتراءى ... لأبي يعرف ما في الحياة
ستري الموت إن زحفت على الأرض ... تلاقي الحياة كالحشرات
فاهجر وجهك الأبي ولا تنظر ... لغير الخلاق في الصلوات
وحبيب الفؤاد يصمت أحياناً ... ولو مرت في طريق الملمات
احترق وحدة على لهب الآمال ... واصبر على عذاب الثبات
احترق في الصعاب صلباً وحلق ... بجناح الآلام في الغابات

***

وإذا ما حنت إليك تناديك ... حظوظ من الزمان السعيد
ملؤها العطف والمحبة والإكبار ... للبـاسـل الأبي الودود
ومشى في ركابك المجد والدنيا ... تحييك في خشوع السجود
امش قدماً واقتحم مغاليق أسرارك ... واحرق ما قلت من تمجيد
احترق ناظراً إلى الهدف الأسمى ... صبوراً على عذاب القيود
احترق ناظراً إلى مطلع الشمس ... صلاة على لسان الوجود
احترق ساعياً لتبلغ في الدنيا ... كمالا يقول: هل من مزيد

(للنيب — العراق) علي محمد سرطاوي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

حول مشكلة الأداء النفسي في الشعر العربي :

ما كدت أنتهي من قراءة مقالك الرائع عن الأداء النفسي في الشعر العربي حتى وجدتني مدفوعاً إلى الكتابة إليك ، معبراً لك في حرارة وإخلاص عن إعجابي الشديد بهذا المقال الفريد الذي بلغت فيه الذروة من حيث عمق الفكرة ، ورهافة الإحساس ، ودقة الشعور ، وبراعة الأداء . لقد أديت بمقالك هذا الرائع خدمة عظيمة لمن يريدون أن ينقدوا الشعر والأدب ، فدللتهم على الوجهة المثلى التي يجب أن يتجه إليها كل من شاء أن يتصدى للنقد الفني المفيد ، وأديت به كذلك خدمة عظيمة لقراء الشعر والأدب ، فعرفتهم كيف يقرأون الشعر قراءة تأمل واستيعاب وتجاوب ، وأديت به فوق ذلك خدمة للشعراء المحدثين حين جعلتهم يدركون أن هناك ناقداً ممتازاً يرصد الطريق ، ليقيم العاثر ، ويوجه المنحرف ، ويتبنى الموهوب ، ويشجع المستقيم . وإني لأحمد الله على أن ميدان النقد الأدبي – وهو ميدان خطير الشأن – لم يخل بعد أن انصرف عنه أمثال طه والعقاد والمازني وهيكل ، من أمثال المعداوي وقطب ومندور ، مع ما امتاز به الأخيرون من التجاوب مع شعراء الشباب في التفكير والشعور والإحساس .

وقد كنت أحب ألا تجعل كلامك مقصوراً على نموذج واحد لشاعر واحد ، فذلك من شأنه أن يبخس حقوق الآخرين . وكنت أحب كذلك أن تلتفت في هذا المجال إلى الشعراء الشبان ممن تجد لديهم النماذج المنشودة للأداء النفسي .. كنت أحب أن تلتفت إلى هؤلاء الشعراء ، ليكون هذا الالتفات تحية وتشجيعاً لهم من جهة ، وتوجيهاً وإرشاداً من جهة أخرى ، ولأنهم عدة المستقبل ومعقد الرجاء . أما بعد فقد كنت مشغولاً عن القراءة والكتابة بظروف خاصة تتصل بكائنين عزيزين كل منهما أحب إلى من نفسي ، ولكن مقالك هذا قد استطاع أن يستأثر بي بعض الوقت فقرأته ، ثم استطاع أن يؤثر في نفسي تأثيراً عميقاً فكتبت إليك أعذرني إذا لم أستطع أن أحدثك بكل ما لدي بسبب هذه الظروف الخاصة ، وتقبل أخلص آيات المودة وأعظم دلائل التقدير من المخلص :

ابراهيم محمد نجا

هذه رسالة شاعر يشهد الله أني أقدره قبل أن ألقاه هذا اللقاء الفكري الأول ، ويشهد الله أن تقديري له قبل لقائه كان وليد تلك الومضات النفسية التي طالعتني من شعره فيما قرأت له على صفحات « الرسالة » و « الكاتب المصري » .. واليوم يزداد تقديري له وإعجابي به لأن الشاعر الذي يجيد التعبير عن عالم النفس والحياة ، ثم يجمع إلى هذه الموهبة سلامة النظرة إلى عالم الأدب والنقد ، هذا الشاعر جدير بالتقدير والإعجاب !

هذه كلمات لا أريد بها أن تقوم مقام الشكر على كريم تقديره ، وإنما أريدها تقرير واقع تمثل بالأمس في تحية من القلب ، حتى إذا دعت إليه المناسبة تمثل اليوم في تحية من القلم — لقد جاء ذكره مرة على لسان الدكتور طه حسين فأثنى عليه أمامي وأثنيت ، وجاء ذكره مرة أخرى على لسان الأستاذ الزيات فأثنى عليه أمامي وأثنيت ، وحسب الشاعر الفاضل مثل هذا الذكر الجميل !

بعد هذا أقول للأستاذ نجا إن مقالي عن مشكلة الأداء النفسي في الشعر قد قصدت به إلى غاية ورميت به إلى هدف ، أما الغاية فهي عرض المشكلة من شتى نواحيها ومختلف زواياها مع الاستشهاد الذي يقرن بين النقد والمثال ، وأما الهدف فهو رسم الطريق لقارىء الشعر وناظمه وناقده على هدى ميزان أثقه وأومن به ، فمن شاء أن يأخذ به من هؤلاء جميعاً فليأخذ ، ومن شاء أن ينصرف عنه فلينصرف .. ولكنني أحمد الله مع الأستاذ الشاعر على أن ميدان الذوق الأدبي — وهو ميدان خطير الشأن — لم يخل من أمثال هؤلاء الذين يبعثون إلى برسائلهم الممتازة تعقيباً على ما أكتب ، وحسبي أن يكون من بينهم صاحب هذا الذوق اللماح ! .

هذا هو المجال الذي أردت أن أكتب فيه ، وهو مجال يحدد جوانب المشكلة وما فيها من قيم ، على أن يكون ذلك عن طريق العرض الفني لتلك الجوانب ، لا من طريق الاستعراض النقدي للشعراء ممن يمثلون هذه القيم ... وإذا كنت قد استشهدت

بأبيات لإيليا أبي ماضي فليس معنى ذلك أن إيليا يقف وحده في ميدان الأداء النفسي الذي أدعو إليه ، وإنما جاءت أبياته كنموذج كامل لهذا الأداء حتى يستطيع القراء والنقاد أن ينظروا إلى كل إنتاج شعري على ضوء هذا النموذج بالنسبة إلى الشعر العربي قديمه وحديثه . ولعل الأستاذ نجا قد لاحظ أنني أشرت إلى مدرستين تمثلان هذا الاتجاه في الشعر المعاصر ، وذلك عندما قلت إن المدرسة الأولى قد نهض بها بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم شوقي ، وإن المدرسة الأخرى قد نهض بها بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم إيليا أبو ماضي ... ومعنى ذلك أن هناك شعراء يقفون إلى جانب الشاعر الأول ، وأن هناك آخرين يقفون إلى جانب الشاعر الثاني ، سواء في مصر أو في المهجر أو في غيرها من الأقطار العربية .

أما قول الأستاذ نجا بأن الاكتفاء بنموذج واحد لشاعر واحد من شأنه أن يغمط حقوق الآخرين فلا أوافقه عليه ... بأني ثق أن الرأي العام الفني بخير ، وأن أصحاب المواهب لابد أن يشقوا طريقهم إلى النفوس والعقول والأذواق ، ولابد أن يصلوا إلى نهاية الطريق وتحت أقدامهم أشلاء الفارغين والمطموسين وكل من تحدثه نفسه باعتراض القافلة ! ومع ذلك فقد كنت أود أن أحقق هذه الرغبة الكريمة التي عرض لها الشاعر الفاضل في رسالته ، ولكن ضيق المجال قد حال بيني وبين هذه الأمنية من جهة ، ولأني أشعر شعوراً عميقاً من جهة أخرى بأن مشكلة الأداء النفسي في الشعر أجدر بأن يفرد لها كتاب من أن تفرد لها كلمات في مقال ، وهذه هي الومضة التي تشع في خاطري منذ أمد بعيد ، وتدفعني إلى التفكير في إخراج هذا الكتاب الذي أرجو أن أتناول فيه بالبحث والتحليل مشكلة الأداء في الشعر العربي كله ، منذ أقدم عصوره حتى هذا العصر الذي نعيش فيه ... وعندئذ يمكن أن تتحدث عن الأستاذ نجا وأمثاله من الشعراء المطبوعين .

مجلة «الصياد» اللبنانية تعقب على موضوع السرقة الأدبية :

في العدد (٨٤٤) من الرسالة كنت قد كتبت كلمة عن السرقة الأدبية التي وقعت بين جدران كلية المقاصد الإسلامية ببيروت ، وموضوع السرقة أن هناك طالباً من طلاب تلك الكلية قد سطا على مقال للأستاذ الزيات ، فتقدم به لنيل جائزة مالية في مسابقة سنوية تقام بين الطلاب في ميدان الكتابة والخطابة . أما الجائزة فيهبها للفائزين أحد رجال الصحافة المعروفين في لبنان ، وهو الأستاذ محي الدين النصولي ... ولقد حدث أن جازت السرقة على لجنة من المحكمين وظفر الطالب بجائزة ، وخرج من السابقة وهو يحمل وصحتين وينوء بوزرين ، هما السطو على أدب الزيات ثم السطو على مال النصولي !

هذا هو موضوع السرقة الذي عقبت عليه من قبل جريدة « صدى الأحوال » اللبنانية ، معربة عن بالغ دهشتها من الأغفلين المحكمين « الجهابذة » إلى أن المقال مكتوب بأسلوب الزيات ويحمل طابعه في التفكير وطريقته في التعبير ، ناعتة هؤلاء المحكمين بالقصور وقلة الاطلاع ! ... هذه هي الزاوية التي نظرت منها « صدى الأحوال » إلى لجنة المحكمين ، ولكن مجلة « الصياد » قد نظرت إلى اللجنة من زاوية أخرى أكثر عمقاً وأوفر طرافة ، حين عقبت على الموضوع مستجيبة في هذا التعقيب لما كتب في « الرسالة » ، وإليك هنا التعقيب الرائع الذي جاء بالعدد الصادر في ٢٢ سبتمبر الماضي تحت عنوان « محمد العبود أبلغ من الزيات ! ! » :

« في منتهى العام الدراسي الماضي ، أقامت كلية المقاصد الإسلامية في بيروت مباراة إنشائية خطابية بين طلاب قسم البكالوريا لنيل جائزة الأستاذ محي الدين النصولي السنوية . وقد جرت المباراة بسلام ، ووزعت الجوائز على مستحقيها الثلاثة . وكان الأول السيد محمد العبود والثاني السيد ظافر تميم . ونذكر أن أحد أفراد أسرة « الصياد » كان بين الجمهور فكاشف اللجنة التحكيمية بعدم توفيقها في إصدار الأحكام ولاسيما فيما يختص بتفضيل السيد العبود على السيد تميم ! وكان الجواب أننا لم نشهد إلا شطراً من المباراة ، وهو الشطر الخطابي وقد وضعت العلامات على القدرة الخطابية وأضيفت إلى العلامات الموضوعة على القدرة على الإنشاء ، فكانت النتيجة التي رأيتها . ولما سألنا أكانت الموضوعات الإنشائية غير تلك التي ألقاها الطلبة في الحفلة الخطابية ، كان الجواب لا . وعندئذ أصررنا على استغرابنا واستنكارنا ... وراحت الأيام تطوي الأيام ، إلى أن

قرأنا حديثاً صباحياً للزميل « شيخ بيروت » يميط فيه اللثام عن جريمة أدبية ... فقد ثبت أن السيد ظافر غنيم زور في المباراة الإنشائية ، وبدلا من أن يكلف نفسه عناء عصر الدماغ وتنميق العبارات والتعرض لأخطار النحو والإملاء ، أغار على المنشىء المصري المعروف الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة فاختلس منه قطعة عنوانها « وإنما الأمم الأخلاق ... » ، طرز بها ورقة المسابقة وذيلها بإمضائه الكريم . ويوسعنا القول إن صاحبنا الفتى يحسن الاختيار حقاً في مادة الأخلاق !!

وبعد أن أماط « شيخ بيروت » اللثام عن هذه السرقة الأدبية — غير المؤدبة طبعاً — نصح للفائز الثاني بإعادة الجائزة المالية التي قبضها لتضاف إلى مبلغ الجائزة النصولية في العام المقبل . ولئن انتهت المسألة عند هذا الحد في نظر « شيخ بيروت » فهي لم تنته عند أحد محرري الصياد ؛ ذلك أن الفضيحة تتناول لجنة التحكيم أيضاً ، وكانت تتألف من الأساتذة حسن فروخ وموسى سليمان والدكتور جميل عانوتي . فإذا غفرنا للجنة تقصيرها في كشف السرقة حيث كانت تحقق وتدقق في أوراق المسابقة الإنشائية ، فكيف نغفر لها تفضيل إنشاء الطالب محمد العبود على إنشاء الأستاذ الزيات ، وهو علم من أعلام البلاغة والبيان في العالم العربي » ؟!

هذه « قفشة » بلغت الغاية في الطرافة ودقة الملاحظة ، وإن كاتبها المحرر الفاضل ليستحق عليها كل تهنئة ، ومهما يكن من شيء فلا عجب أن يكون محررو « الصياد » من هذا الطراز وأستاذهم صديقنا الصحفي النابغ سعيد فريحة !

دراسة الأديب على ضوء حياته الخاصة :

هذه رسالة من « دمشق » يطلب إلي فيها مرسلها الأديب الفاضل عدنان الطيبي أن أكتب بضعة فصول نقدية عن بعض الشخصيات الأدبية في مصر ، من أمثال الأساتذة العقاد والزيات وطه حسين والحكيم وتيمور وأحمد أمين والمازني وهيكل ثم يحدد هذه الرغبة بأن تكون الدراسة النقدية غير مقصورة على شخصياتهم الفنية التي تطالعنا من إنتاجهم الأدبي ، وإنما تنفذ إلى أعماق شخصياتهم التي تطالعنا من واقع الحياة ، حتى يستطيع القراء أن يربطوا بين الشخصيتين في سبيل الكشف عن أثر الحياة الخاصة في توجيه المواهب الذاتية وتلوين الملكات الأدبية عند كل كاتب من هؤلاء الكتاب ... إن ردي على رغبة الأديب الفاضل هو أن هناك عقبات تعترض طريق هذه الدراسة التي يود أن أقوم بها على صفحات « الرسالة » ، منها أن حياة بعض الناس الخاصة لا تخلو من جوانب يفرض علينا الذوق ألا نتعرض لها ما داموا على قيد الحياة ، قد تكون هذه الجوانب ذات أثر كبير في تلوين المادة الفكرية ، ولكنني أرى — وقد يعترض بعض الناس — أن الكشف عن هذه الجوانب لا يحل لدارس الشخصيات وكاتب التراجم ، إلا بعد أن تنقطع الصلة بين أصحابها وبين الحياة ، ... عندئذ تصبح كل حياتهم حقاً مباحاً للدارسين ، وعندئذ يحل للتاريخ الأدبي أن يقول كلمته ! ومن هذه العقبات أيضاً أنني أعرف بعض هؤلاء الأدباء معرفة كاملة وأعرف بعضهم الآخر معرفة عابرة ، وفيهم من لا أعرفه على الإطلاق ، فأنا مثلاً أعرف من الفريق الأول الزيات وطه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وتيمور ، وأعرف من الفريق الثاني العقاد والمازني حيث لقيت العقاد أول لقاء وآخر لقاء في جريدة « الأساس » وكذلك الأمر فيما يختص بالمازني رحمه الله في جريدة « أخبار اليوم » ، أما الكاتب الذي يمثل الفريق الثالث فهو الدكتور هيكل ! ... وإذا كنت أعرف بعض الجوانب الخاصة في حياة هؤلاء الذين لم تهيىء لي الظروف مصاحبتهم ، فهي معرفة عن طريق الغير أي عن طريق النقل والاستماع ، ولعل الأديب الفاضل يوافقني على أن الأمانة العلمية تفرض علينا ألا نطمئن كثيراً إلى هذا الفريق ، إذا ما أردنا أن نؤرخ الأدب على الأساس الذي أشار إليه !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

أقول للجندي الفاضل محمد عبد العال « بالقاهرة » إن مأساتك التي قصصتها علي ليس مكانها « الرسالة » ولكن مكانها هناك في « الأهرام » حتى يمكن أن تظفر باهتمام المسئولين ، فاكتب إلى الصديق الأستاذ أحمد الصاوي محمد ولك مني أن أوصيه خيراً بشكواك . وأقول للأديب الفاضل محمود أمين « بأسيوط » إنني في انتظار مقالاتك . وأقول للأديب الفاضل عبد العظيم الحلي « بالجيزة » إنني شاكر لك جميل عنايتك وصادق اهتمامك ومقدر لك هذه النفحات الطيبة التي تبعث بها إلي من حين إلى حين . وأقول للأديب الفاضل حامد محمد أحمد « بفرشوط » إن الجنة التي سألتني عنها في رسالتك هي الجنة التي وعد بها المتقون !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

استقبال العضوين الجديدين في مجمع اللغة:

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين الماضي، باستقبال حضرتي الأستاذين أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى، اللذين انتخبا وصدر المرسوم الملكي بتعيينهما عضوين عاملين بالمجمع، مكان المغفور لهما أنطون الجميل باشا وعلى الجارم بك.

بدأ الاحتفال بإلقاء الدكتور أحمد أمين بك كلمة استقبال الأستاذ إبراهيم مصطفى، وقد استهلها بالحديث عن بدء الصلة بينهما حينما كانا طالبين بالأزهر يحفظان المتون ويدرسان الأدب الذي كان يدرس في الأزهر على هامش العلوم في ذلك الزمان. وقد اهتم الدكتور أحمد أمين في هذه الكلمة بالتحدث عن النحو وجموده، وبناء قواعد اللغة العربية على أساس «العامل» ورأى الأستاذ إبراهيم مصطفى في «هدم العامل» وعقب على هذا وذاك بأن عيب النحويين جميعاً أنهم يريدون أن يخضعوا اللغة للمنطق، واللغة من وضع العاقل والأحمق والمتعلم والجاهل، ثم جاء العلماء واعتمدوا بها على أساس المنطق فأتعبوا أنفسهم دون طائل. وضعها الصغار وتعب فيها الكبار...

وبعد أن أفاض الدكتور في ذلك، قال إن الأستاذ ابراهيم مصطفى ليس نحوياً فحسب، وإنما هو قوى الأسلوب والخيال وله قدرة على وضع القصة الصغيرة، إلا أن السلك الذي يربط بين ذهنه ويده مصاب بعطب... ولم يبين ما يريد بهذا العطب.

وقد كان حظ النحو وما تبعه من الطرائف في كلمة الدكتور أحمد أمين أكثر من حظ الأستاذ ابراهيم مصطفى نفسه. فكل ما ذكره عنه حفظه المتون في الصغر ورأيه في نظرية العامل، ثم الوصف الإجمالي الأخير الذي ختمه بتلك الإشارة التي لا ندرى أهي دعابة أم نقد، حتى النظرية النحوية هدمها!

ثم أتى الأستاذ ابراهيم مصطفى كلمته، فشكر الدكتور احمد أمين وأشار بلباقة واختصار إلى بعض ما ذكره، ثم تطرق إلى الحديث عن سلفه المرحوم على الجارم بك، وقد وجه معظم الحديث عنه إلى جهوده في النحو من حيث تيسيره وتقريبه. وهكذا كان الأمر قبا بين الدكتور أحمد أمين والأستاذ ابراهيم مصطفى أكثره نحو ... على ذلك النحو.

ثم وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك فألقى كلمة استقبال الأستاذ الزيات، فقال إنه التقى به لأول مرة من نحو أكثر من ثلاثين سنة، زميلين في التدريس بمعهد أهلي، فوجد فيه شاباً أنيقاً في زيه الشرقي، حيياً يفيض علماً وأدباً، وأشار بفضله في تجديد تعليم اللغة العربية وآدابها، ومنهجه الجديد في تاريخ أدب اللغة بكتابه «تاريخ الأدب العربي» وأفاض الأستاذ أبو حديد في بيان أثر الأستاذ الزيات في أدب الجيل، ونوه بترجمته «آلام فرتر» و«رفائيل» قائلاً بأنها الترجمة المنشودة للمشاركة الأدبية العالية. ثم حلل ناحية في أسلوب الأستاذ الزيات وهي الخاصة بوضع الكلمة في موضعها سواء في الترجمة والإنشاء، واستطرد بعد ذلك إلى بحث مستفيض في استعمال الكلمات في المقامات المختلفة، وأتى بأمثلة من الشعر العربي وحللها مبيناً ما فيها من ظلال التعبير النفسية. وهذا الموضوع: مناسبة التعبير للحال وما يضفيه من ظلال نفسية خاصة، موضوع قيم، ولكنه شيء آخر غير الإتيان بالكلمة في موضعها.

وعلى أثر ذلك نهض الأستاذ الزيات فألقى كلمته، وقد رآها القارئ في صدر هذا العدد من «الرسالة» ولست أقول فيها إلا أنها دلت عليه دلالة واضحة إذ قدم نفسه بها خير تقديم.

بقيت في النفس ملاحظات عامة، أردت أن أتغاضى عنها، ولكنها تلح على، متذرعة بأن لها هدفاً وأنها ذات موضوع، على حد التعبير الذي ذاع عن معالي رئيس المجمع، ذلك أن بعض

الأعضاء الذين تكلموا فى الحفل ، لم يراعوا الصحة اللغوية فى استعمال بعض كلمات وضبط أخرى ، ومثل هذا إن أمكن التغاضى عنه فى غير مجمع اللغة ، فإنه لا يقبل من أعضاء المجمع وهم رجال اللغة . مثال ذلك ما ذكره الأستاذ إبراهيم مصطفى عن جهود الجارم فى أعمال المجمع ، ومنها « القاموس الوسيط » يقصد « المعجم الوسيط » والفرق بين المعجم والقاموس معروف .

أمينة :

هى امرأة فرنسيـــة ، تزوجها الشيخ إبراهيم ، وسماها « أمينة » على اسم المرحومة أمه لحبه إياها .

والشيخ إبراهيم رجل من أغنياء إحدى القرية المصرية ، يهتم بتربية الخيل ، ويقوم عليها عنده ابن خالته الشاب الوسيم « محمد » الذى يفتتن بجمال أمينة وتفتتن هى أيضاً به ، فهى فتاة فى سن الصبا وزوجها شيخ يكبرها بعشرات السنين .

وتعود ابنة الشيخ إبراهيم « عايدة » من القاهرة إلى القرية لقضاء العطلة المدرسية ، فلا تستريح أمينة زوج أبيها لقدومها ، وبضايقها انصراف

كشكول الأسبوع

◘ يشتغل الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة باشا ، بوضع مسرحية شعرية عن « شجرة الدر » وقد أوشك أن يفرغ منها ، وسيبعث إلى « الرسالة » بأجزاء منها تنشر تباعاً . وهى فرصة طيبة يستمتع فيها القراء بأدب سعادة الأستاذ .

◘ تهتم بذكرى ابن سينا ، كل من البلاد العربية وإيران وتركيا ، وتنسبه كل منها إليها . وقد حسمت إحدى الصحف التركية هذه المسألة بقولها : إنه لا يصح أن يعد ابن سينا عربياً أو إيرانياً أو تركياً ، وإنما ينبغى اعتباره ثمرة من ثمار المدنية الإسلامية .

◘ جاء فى نشرة ثقافية لوزارة الخارجية المصرية ، أن هيئة اليونسكو قررت ترجمة روائع شكسبير وجوته وباسكال وغيرهم من أعلام الأدب الغربى إلى اللغة العربية ، لنشرها فى بيئات الشرق الأوسط ؛ وذلك كجزء من البرنامج الشامل الذى تعده اليونسكو لنشر الثقافة العالمية .

◘ قام الأستاذ آصف على أصغر الفيضى سفير الهند فى مصر ، بتحقيق كتاب « دعائم الإسلام » للقاضى أبى حنيفة النعمان المغربى ، وسيقدمه قريباً للطبع . والأستاذ الفيضى له نشاط علمى معروف ، ومن مؤلفاته كتاب عن الوصية فى التشريع الإسلامى . وقد أسس فى الهند سنة ١٩٣٣ جمعية للدراسات الإسلامية ، أصدرت أخيراً الكتاب التذكارى لمرور خمسة عشر عاماً على تأسيسها ، متضمناً أبحاثاً للأستاذ ستروتمان الألمانى والأستاذ برنارد لويس الإنجليزى والدكتور محمد كامل حسين الأستاذ بجامعة فؤاد الأول .

◘ توفيت أخيراً المستشرقة الإنجليزية ليليان آدم سميث ، وهى فى الثالثة والثمانين من عمرها .

◘ اختار الأستاذ إبراهيم الوائلى موضوع « الشعر السياسى المعاصر بالعراق » لرسالة يتقدم بها للحصول على درجة (الماجستير) من جامعة فؤاد الأول . واختار الأستاذ أحمد هيكل موضوع « الأدب الحديث فى السودان » لنيل (الماجستير) أيضاً . ومن هنا وذاك يتبين اتجاه جديد فى الجامعة نحو الدراسة الأدبية المعاصرة فى الأقطار العربية ، وهو اتجاه سديد نرجو لأصحابه التوفيق .

◘ يقترح بعض الأدباء اليونانيين بالإسكندرية إنشاء كرسى للأدب اليونانى بجامعة فاروق الأول ، على أن تنشىء جامعة أثينا كرسياً للأدب العربى فيها ومما يذكر أن من هؤلاء الأدباء من يكتب وينظم الشعر باللغة العربية الفصيحة .

◘ من مكتبات القاهرة مكتبة كل كتبها من تأليف مؤلف واحد ، وهى مكتبة الأطفال للأستاذ كامل كيلانى .

◘ يطالب أدباء لبنان بإطلاق اسم الشاعر خليل مطران على أحد شوارع بيروت وإقامة تمثال له فى مدينة بعلبك مسقط رأسه .

◘ جاء من دمشق أنه قد أقيمت حفلة استقبال بدار الكتب هناك ، تكريماً للشاعر المعروف الأستاذ عمر أبو ريشة بمناسبة عودته إلى البرازيل .

زوجها إلى ابنته وعطفه عليها . وينشأ حب صامت بين عايدة وبين محمد ، ولكن هذا يستمر فى علاقته الآثمة بأمينة .

وتساور الشيخ إبراهيم الشكوك فى محمد . وتعمل عايدة على أن تجنب أباها الوقوف على حقيقة الصلة بين أمينة ومحمد ، منعاً لحدوث ما يخل بسمعته وشرفه ، ويؤدى ذلك إلى أن تظهر فى موقف مريب مع محمد فيطردها من المنزل ، فيلجآن إلى منزل أخت الشيخ إبراهيم وزوجها الشيخ عبد المحسن ، فيتزوجان ويعمل محمد عنده طبيب بيطرى بالقرية ، ويعيش الزوجان فى سعادة يظلهما الحب المتبادل ويسخط الشيخ إبراهيم على ابنته لسلوكها وزواجها من محمد السائس ، ويقبل على زوجته أمينة ويعمن فى تدليلها والإغداق عليها .

وتلتقى أمينة بمحمد فتعمل على إغرائه فيأبى أولا ثم لا يلبث أن يعود معها إلى ما كانا فيه . وفى خلال ذلك يجمح جواد من جياد الشيخ إبراهيم فيجرى وراءه بالعربة التى تنقلب به فى الترعة فى مكان بعيد عن القرية بحيث لم يدر أهله أين مكانه .

ويذهب محمد مرة إلى أمينة فيجدها جثة ، ويقبض عليه

ويهم بقتلها ، كما يهم أيضاً الخادم (ضبش) الذى كان يحبها وهى تنفر منه . وأخيراً يظهر الشيخ ابراهيم راقداً فى فراش عند أحد معارفه ، ويفضى إلى المحقق الذى ذهب إليه بأنه اختلق على أثر الحادث الذى وقع له ، وجعل يتجسس على زوجته حتى تحقق أنها تخونه فقتلها . وبعد هذا الاعتراف فاضت نفسه .

تلك هى قصة فلم « أمينة » الذى عرض أخيراً فى سينما رويال بالقاهرة ، والذى قالوا عنه إنه التقت فيه مواهب الشرق بمواهب الغرب . فقد أنتجه وأخرجه المخرج الإيطالى جوفريدو إليساندريني ، ومثلت فيه الممثلة الإيطالية آسيا نوريس (أمينة) ويوسف وهبي (الشيخ ابراهيم) ورشدى أباظه (محمد) وسميحة توفيق (عايدة) وسراج منير (الشيخ عبد المحسن) ومحسن البارودى (ضبش) .

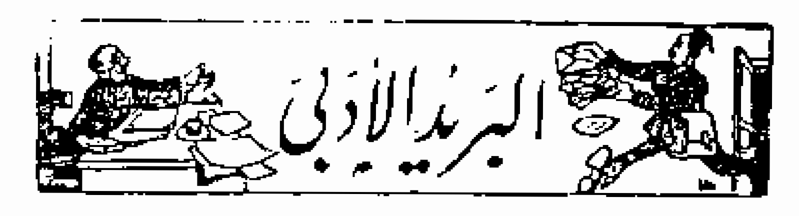
والحق أن المخرج نجح فى تنظيم حوادث الفلم ومناظره ، وتحريك الممثلين ، وإبراز مواهب بعضهم وخاصة سميحة توفيق ، فقد ظهرت هذه الفتاة فى بعض أفلام لم يحسن المخرجون فيها تخريجها ، أما فى هذا الفلم ، فقد برزت ملكاتها الفنية بحيث استطاعت أن تقف إلى جانب آسيا نوريس ، لا تقل عنها إن لم تكن فاقتها . وقد أحسن باقى الممثلين تأدية أدوارهم ، وكان يوسف وهبي مندمجاً فى دوره ، هادئاً ، لم يفتل فى الفلم غير واحدة !

ثم ننظر فى قيمة هذا الفلم الذى تضافرت عليه جهود عالية ... لقد تزوج رجل مصرى قروى بفتاة أجنبية ، فلم يستغل هذا الزواج لاتخاذ موضوع منه ، فلم يصور باعتباره زواجاً مختلفاً لاختلاف العادات والطباع والأمزجة بين الزوجين ، بل جرى الأمر على أن الزوجة تعيش فى كنف زوجها مرتاحة إلى ما يغدقه عليها ، غامرة فى تنقله والارتماء فى أحضان الشاب الذى تبنى فيه عوضاً عما تفتقده فى الزوج ، وهذا لا يتوقف على أن تكون الزوجة أجنبية أو غير أجنبية . ويظهر أن المسألة لا تعدو تدبير دور لآسيا نوريس تظهر فيه مع يوسف وهبي . وكذلك لم أجد معنى لأن يحب الخادم (ضبش) الدميم المسن ، أمينة الفتاة الرائعة الحسن ، فالإنسان يدرك بغريزته وفطرته ما يلائمه وما لا يلائمه فى مثل هذه الأمور . ولكن ذلك كان اتصالا غير طبيعى تعمد به ترتيب الحوادث والتمهيد لأن يقتل الزوج زوجته فى النهاية .

والمخرج نجح حقاً من الناحية الفنية ، وأخرج الفلم نظيفاً من التهريج والإسفاف ، ولكنه أخفق فى تصوير البيئة المصرية ، فهذه القرية التى تجرى فيها حوادث الفلم ، أهلها أشبه بحى من الأحياء البلدية فى القاهرة منهم بالفلاحين فى كل شىء حتى لهجة الحديث ، فلم أسمع أحداً يتكلم باللهجة الريفية غير أخت الشيخ ابراهيم . وقد اهتم المخرج بإبراز مناظر معينة مما يدل على الطابع المحلى ، فجاء بعضها غير صادق مثل منظر الهرمين اللذين يظهران بجانب القرية ، ولا نعلم قرية فى مصر بجانبها هرمان على الهيئة التى ظهرت فى الفلم وجاء بعض تلك المناظر فى غير مناسبة مثل الخيل التى تعدو براكبيها فى مفتتح الفلم واختتامه من غير ارتباط بحوادث البدء والنهاية ، وكل ما فى الأمر أن المخرج يريد إظهار فلاحين مصريين يجرون بالخيل ... ولا ضرر من ذلك غير أنه حشو لا فائدة منه .

ومهما يكن من شىء فإن الفلم أمتع وأتقن من أن يكون ثمرة لا لتقاء المواهب العالية ...

عباس خضر



الأمانة العلمية في الجامعة :

قرأت ما أثاره الزميل الصديق الدكتور جمال الدين الشيال في عدد الرسالة الغراء الصادر في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ حول الأمانة العلمية في الجامعة ، ولم أعجب لما جاء به الزميل ، فقد عادت بي الذكريات إلى أيام تلمذتي بالجامعة ، فتذكرت ذلك الأستاذ المعمم وقد جاءنا يرفل في جبته وقفطانه ، حتى إذا عدنا من عطلة العيد وجدناه قد ارتدى زي المطربشين ، وإن كانت ملامحه وسحنته تدل على أنه من الشيوخ المعممين — ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا أبحاثاً علمية ليقرأها ويصححها ثم يعيدها إلينا ، وكنا في ذلك الوقت حريصين أشد الحرص على أن نرضي الأساتذة بهذه الأبحاث العلمية ، فكنا نسعى إلى المكتبات ونبحث في أمهات الكتب حتى نفوز برضى الأستاذ عن البحث الذي نقدمه له ، ولكن ذلك الأستاذ — حفظه الله — بخل علينا بأبحاثنا ولم يشأ أن يردها إلينا ، ولم نلبث أن رأينا هذه الأبحاث قد ضمت بعضها إلى بعض وقسمت إلى أبواب وفصول ، وأصبحت كتاباً يحمل اسم الأستاذ العزيز ، وإن كنا نحمد للأستاذ أنه غير أسلوب هذه الأبحاث وجعلها بأسلوب واحد . أما الآراء ، فقد بقيت كما هي آراؤنا والنصوص التي استندنا إليها في أبحاثنا بمراجعها لم يتغير شيء منها —

وذكرت أيضاً ذلك البحث الذي صدرت به مجلة إحدى الهيئات العلمية ، وكيف قام أحد الطلاب يصيح في وجه أستاذه الذي نشر البحث باسمه قائلا : إني أعطيتك هذا البحث منذ شهر ، فلم يسع الأستاذ إلا أن يعترف أمام الطلاب أنه استفاد من البحث الذي قدم له ، ولكنه أسر الأمر في نفسه ، وانتقم من الطالب في آخر العام فرسب الطالب المسكين !

وهذه زميلة تتقدم برسالة ماجستير وتعطي بحثها لأستاذها المشرف ، ومكث البحث زهاء ستة أشهر عند الأستاذ ، وأخيراً أخذته منه ، فإذا به يفاجئنا بأن آراءها تتفق تمام الاتفاق مع آرائه ، فلما سألته : أين نشرت آراؤه هذه ؟ أجاب باسماً : إن كتابي سيظهر هذا الأسبوع وفيه هذه الآراء ! فأجابته ساخرة : الحمد لله أنك اطلعت على آرائي ولم أطلع على آرائك !

وذكرت ذلك الأستاذ الذي كان عضواً في لجنة امتحان إحدى رسائل الدكتوراه ، فإنه بعد المناقشة احتفظ بنسخة الرسالة لنفسه ، فإذا تقدم طالب آخر يعطف عليه أشد العطف ، أعطاه الرسالة الأولى التي لم تكن طبعت بعد ، فإذا بالطالب يستعين بهذه الرسالة استعانة كلية دون أن يشير إلى ذلك ، وأكبر دليل نلمسه أن الرسالة الأولى كان الاعتماد الأكبر فيها على مخطوطات لم يرها أحد في مصر لأنها في حوزته ، ولم يطلع عليها أحداً ، ولا توجد هذه المخطوطات عند أحد سواه ، فإذا بالرسالة الثانية قد امتلأت بنصوص أخذت من هذه المخطوطات — ونذكر كيف حضر صاحب الرسالة الأولى مناقشة الرسالة الثانية ، فلما رأى هذا السطو تحدث مع أعضاء لجنة الامتحان في ذلك ، فكانت النتيجة أن هدده الأستاذ قائلا : أتريد أن تعمل على فشل الامتحان ؟ !

ولعله من المؤلم أن تحدث هذه المهزلة أمام اثنين من كبار المستشرقين ؛ ومن الطريف أن أحد أعضاء لجنة الامتحان استفهم من هذه المشادة ، ومع ذلك لم يفعل شيئاً !

وأذكر أيضاً أن أستاذاً سافر إلى أحد الأقطار فدعي لإلقاء عدة محاضرات في الإذاعة ، فأرسل برقية إلى أحد المعيدين ليكتب له سلسلة هذه المحاضرات ويرسلها له بالبريد الجوي ، وتقاضى الأستاذ مكافأته من الإذاعة في حين أن المعيد قد لقي بعد عودته جزاء سنمار !

وأذكر هذا الأستاذ المشرف على بعض رسائل الماجستير يصرح في مجلس الكلية أنه لم يقرأ هذه الرسائل ولكنه يوافق عليها — وأذكر ذلك الأستاذ الذي سطا على أحد أعداد سلسلة « اقرأ » وأخذ يملي منه محاضرات على الطلاب دون أن يشير إلى الكتاب زاعماً أنها له ، ولم يفطن إلى أن الطلبة كانوا أسبق منه إلى قراءة هذا العدد !

ولعل أهم هذه الأحداث التي تتصل بالأمانة العلمية في الجامعة

أن أحد المدرسين إذ ذاك أتى محاضرة بدار الجمعية الجغرافية الملكية عن رأى جديد فى النحو ، فإذا بهذا الرأى يظهر فى كتاب لزميل له دون الإشارة إلى صاحبه ، وإذا بهذا الأستاذ النحوى يغضب ويخاصم زميله ويستشهد بالآية القرآنية : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة » ... يشير بذلك إلى كثرة كتب زميله ...

ولا ينسى الزميل الصديق الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التى يوضع عليها اسم أستاذ من الأساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه على أنهما اشتركا فى تأليف هذا الكتاب أو ذاك ، فنحن نعلم من الذى ألف الكتاب ومن الذى استفاد منه ...

هذه كلها ذكريات يعرف بعضها الدكتور الشيال ، ويعرف بعضها زملاء الدكتور الشيال ، لعل فيها ما يخفف عنه ثورته للأمانة العلمية فى الجامعة ...

(أبو رشيد)

إلى الأستاذ أنور المعداوى :

نحن نتعقبك فى تعقيباتك الممتعة ، ويعجبنا فيك عاطفة متأججة ، وإيمان بما تكتب ، وصدق فنى فى تعبيرك ، ونكبر فيك صراحة واضحة ، وقلماً قوياً تقذف به فى صدر الزيف والبهرج والباطل ، فنزداد تعلقاً بك ، وحباً لقلمك ونشعر بهزة عنيفة تنفذ إلى مسامع القلب ، ومسارب الروح .

ومقاييس الشعر التى تحدثت عنها ، هى مقاييس صحيحة ، ومعايير صادقة ، ودراسة قصيرة « إيليا أبو ماضي » على ضوئها كانت دراسة جيلة ، وأسلوباً فى النقد والتعليق يعد أسلوباً طريفاً لأنه ينصب على القيم والمعانى والأحاسيس والتجارب والظلال ، ولا يحفل بالشعوذة اللفظية ، والبهرج الزائف ؛ ولكنى لا أوافقك بل أعتب عليك عتباً كثيراً حينما تصب حكمك القاسى على الشعر العربى القديم جملة واحدة ، هذا التراث الذى تتخرج به على الزمن هـذا التراث الذى جعلته خواء من الروح والعاطفة . إنك بهذا الحكم تهدم حضارة ، وتبتر أمجاد أمة ، وأنا أعيذك من هذه النظرة ، وأرجو أن تراجع نفسك ، وتستشير ذوقك وحسك مرة أخرى ، وأنا موقن أنك لن ترضى لنفسك ، أن تسم الشعر العربى بهذه السمات « شعر السطوح الخارجية » شعر يشعرك بوجود « الفراغ الداخلى » إن الشعراء كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » .

لا لا يا أخى . ألم تقرأ شعر المتنبى ؟ اقرأه فى السيفيات والكافوريات تقرأه شعراً منبثقاً من أعماق النفس ، هو فى ظاهره مديح ، ولكن وراء هذا معان كلها أثر للاحساس النفسى والانفعالات الحزينة تارة ، المريرة أخرى ، الساخرة كثيراً . واقرأ شعر ابن الرومى فى رثائه ومدحه وهجوه فهو صادر عن نفس حساسة شاعرة ، وألفاظه شفافة موحية . واقرأ فى كل عصر من عصور الأدب ، فستجد شعر النفس ، وصدق الفن فى أكثر ما تقرأ . ولست الآن بسبيل الاستقصاء ، وضرب الأمثال من شعر الشعراء ، وكلام النقاد ؛ فإنما هى كلة عابرة أكسر عليها قلمى حتى أسمع رأيك مفصلاً واضحاً .

هذا شىء ، وهناك شىء آخر ، لقد جعلت « شوقى » زعيم مدرسة فى حسن الأداء النفسى ، لأنه يملك الصدق فى الشعور وفى الفن ، وجعلته قريناً لشاعر آخر .

والمعروف أن المدرستين مختلفتان فى كثير من السمات والوجوه ؛ فشوقى فى رأيى يحفل بالصدق الفنى ، ويتأنق فى عرض الصورة البيانية ، فطابع الصدق الفنى أغلب فى شعره من الصدق الشعورى ، وعلى النقيض من ذلك الشاعر « إيليا أبو ماضي » .

والذى يهمنى بعد ، أن توضح لى رأيك فى مكان شوقى بين الشعراء ، ومكانة شعره فى نفسك .

ولصديق الروح تحية ملؤها الحب والإعجاب والتقدير ...

(دمياط) عبد المنعم سليمان سالم

أليس هذا مصريا ؟

كثيراً ما سمعت هذه الجملة تلوكها ألسنة الشبان وغيرهم تعنا يعرض لهم شخصاً تزل قدمه فى الخطأ ، وترى الواحد منهم يرددها بكل بساطة كأنه يعتبر بذلك المصرى علماً على الأخطاء .

هذا الأمر ليس شيئاً تافهاً ، إنما هو خطب جلل يأسف له كل وطنى يدرك ما ينطوى عليه من مس فى نفوس الكثيرين من أبناء هذا الوطن .

إن ذلك معناه الشعور بالنقص بل معناه الإيمان بهذا النقص، معناه فقدان الكرامة الشخصية والإعتزاز القوى وانحطاط النزعة القومية إلى حد تصل معه إلى هذه الدرجة من الضعة .

إننا لو افترضنا جدلاً وجود بعض النقائص فى المصرى فليس لنا مطلقاً أن نتخذها مبعثاً للسخرية والتهكم؛ لأن ذلك يعنى إيماننا بوجودها؛ وإن مجرد إيمان كهذا يعتبر أخطر وأنكى من العيب نفسه إن لم يكن هو عين العيب — إن الوهم فى ذاته من أخطر أسباب المرض، فالواهم يخلق لنفسه المرض وهو صحيح. وهو بذلك يضاعف من مرضه بالوهم إن كان مريضاً ، ولعل معظم الأمراض العقلية والعصبية ترجع إلى ذلك الوهم الذى لا أساس له فى الواقع ، والمصرى إذ يتوهم فى نفسه النقص والضعة لا شك أنه بذلك سيخلق فى نفسه النقص إن كان منزهاً عنه وسوف يضاعفه إن كان مشوباً برشاش منه .

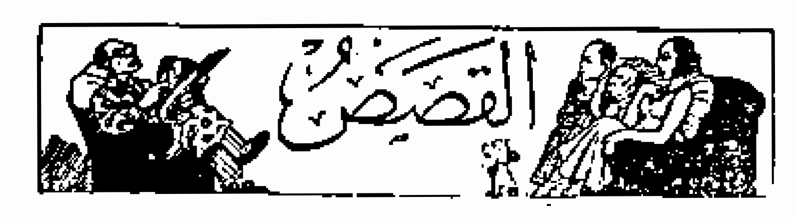
إن الفلاسفة الألمان يوم أعلنوا أن « ألمانيا فوق الجميع » وإن الإنجليز يوم اعتبروا عنصرهم أسمى العناصر، وكمال أتاتورك يوم جعل شعبه يؤمن بأن الترك أطهر الأجناس، كل أولئك لم يكونوا داعين إلى عصبية قومية عمياء ولم يعتبروا قط أنهم أسمى البشر فعلا، إنما كانت غايتهم أن يعلوا فى نفوس مواطنيهم الشعور بالكرامة والعزة ليعلوا من ذلك الشعور إلى مراتب الكرامة والعزة الحقيقتين .

وإن الله تعالى حين أعلن فى القرآن الكريم مبدأ « كنتم خير أمة أخرجت للناس » لم يكن — سبحانه وتعالى — بالطبع يدعو إلى عصبية دينية لأن القرآن نفسه قد حوى أسمى مبدأ فى المساواة التامة بين البشر جميعاً ، والقرآن فى ذلك يبتغى أن يجعل المسلم يعتز بنفسه ودينه ويشعر بالكمال والقوة فوق سائر الناس فيدفعه ذلك الشعور إلى العمل الذى يتفق معه ويؤدى إلى جعله حقيقة واقعة .

وهكذا تخلق الأمة القوية من مجرد الشعور القوى بالقوة والأنفة بينما تنحط الأمم مهما كانت قيمتها يوم يستولى عليها الشعور بالنقص ويبتليها الله بانحطاط الروح المعنوية وضياع العزة القومية.

أخى المصرى ... إننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة المنحطة من الضعة والتفاهة حتى نوهم أنفسنا بذلك ، ومن الجرم أن يعتقد المصرى فى نفسه ذلك النقص ، فنحن بخير ويحق لنا أن نعتز بقوميتنا ، فإننا مهما بالغنا فى ذلك الاعتزاز فنحن أهل له . نحن شعب ناهض بلا شك ، وإن كان الاحتلال لا زال يعوق نهضتنا فليكن لنا من ثقتنا فى أنفسنا السلاح الذى نحطم به ذلك العائق حتى نحقق ما نراه فى أنفسنا من عزة وكرامة وقوة سجلها لنا تاريخنا الناير وهى فى سبيل أن يسجلها لنا التاريخ الراهن ، إننا كنت ناقصاً فى بعض الشىء يا أخى فتعمل لتكمل فى نفسك ذلك النقص ، ولا تستشعر النقص فى نفسك ، فالشعور بالنقص هو النقص عينه ، بل قل « مصراً فوق الجميع » ولسوف تصبح كذلك إن آجلا أو عاجلاً فليس سبيل السيادة بمقصور على أمة أو شعب إنما هو مشاع العاملين .

السيد على الشوربجى
كلية الحقوق



زائرة العرافة

عن الإنجليزية

ترجمة الأديب سيد أحمد قناوى

في غرفة قليلة الضوء تقع على جانب المرض العام ... أثاثها ينحصر في مائدة ومقعدين وبعض أشياء أخرى إن دلت على شيء فإنما تدل على ما يعانيه ساكنها من بؤس وفقر ... وعلقت في واجهة الغرفة لافتة كتب عليها هذه العبارة « مدام لاسترا قارئة الكف. استشارات عن مسائل الحب والزواج والمال على أحدث القواعد العلمية » ... في هذه الغرفة المتواضعة جلست السيدة « لاسترا » تنصت في ضجر وضيق إلى أصوات الضحك والمرح التي كانت تنبعث في أرجاء المرض خارج غرفتها ... فقد كانت تلك الليلة رأس السنة الجديدة ، فأرسلت أفكارها بعيداً تستعيد ماضي لياليها وتستعرض أيام بهجتها وسرورها ... حتى قادها تفكيرها في النهاية إلى ليلة تماثل هذه الليلة في البهجة والمتاع واللهو ... كانت هي فيها تختال بين الرجال حتى انتابتها نزوة غرام عارضة أطلقت فيها الشيطان الفتان ... فكانت ليلة فاصلة بين حياة الزوجية السعيدة وحياة الشقاء التي تحياها الآن . فاجتنت من وراء تلك النزوة العارضة — وا أسفاه — غير الحسرة والخيبة والمرارة .

لقد كانت السيدة « لاسترا » في أيام سعادتها على جانب كبير من الحسن والبهاء : كان لها شعر أسود وعينان عسليتان حالمتان قبل احتراف هذه المهنة البغيضة إلى نفسها كما كانت زوجة لأستاذ علم الآثار الشهير « جيمس كارستيرز » تعيش معه في بحبوحة ويسر ، لا تعرف معه للضيق معنى ، ولا تذوق من الفاقة ما تتجرع الآن غصته ... وعند وقوع حادث الغرام الطائش عملت على طلب الطلاق من زوجها فكان لها ما أرادت ، وإن هي الآن لا تقاسى منه غير الحسرة ومرارة الذكريات . ولن تنسى ما عاشت قول « جيمس » لها وهو يجيب إلى طلب الطلاق :

« إن بحثت عن أبغض إلى قلبي ، تجدينه الطلاق منك ... ولكن إذا كان في الطلاق جلب لسعادتك وهنائك فواجبي يحتم علىّ أن أضحى بحبي وقلبي بلا تردد » .

وكم تنفجر عواطفها ، وتهتز أعصابها حينما تذكر أنه تزوج بغيرها طلباً للخلف ... فقد تزوج بعد طلاقه منها من فتاة تدعى « أليس دين » وهي فتاة آية في الجمال وقد وصفها الناس بأنها شقراء الشعر نحيفة القد أنيقة الهندام .

جلست مدام « لاسترا » فريسة لهذه الذكريات تنهش قلبها وتستبد بنفسها فما أنقذها منها سوى قدوم زائرة جاءت لاستطلاع حظها ... وسرعان ما اعتدلت العرافة « لاسترا » في مجلسها ، وسوت شالها فوق رأسها وشبكت يديها وأسندت مرفقيها إلى المائدة فقد لاحظت في السيدة الزائرة من الهيبة والوقار ما حملها على الاهتمام بأمرها ، والتطلع إلى مكنون سرها .

ومن عجب أن هذه « الزائرة » لم تدخل كغيرها في اضطراب وعجلة ورغبة ملحة في استطلاع غيبات الغيب ، بل هي على النقيض من ذلك ، إذ أنها دخلت في تؤدة ووقار وهدوء ، تظلل محياها الشاحب وشعرها الأشقر قبعة عريضة الأطراف ، ولم تلبث أن نزعت قفازها دون أن تبس بكلمة ، وكان الإطراق رائدها ، ومسحة من الحزن تعلو جبهتها ... فدل مظهرها على ما تحمله من أمر مقلق وهم دفين . وأخيراً تقدمت يدها اليسرى فإذا هي تتحلى بخاتم من الفضة مرصع بحجر من الزبرجد ... لم تكد السيدة « لاسترا » تبصر هذا الخاتم حتى خفق قلبها عنيفاً حتى كاد أن ينخلع من صدرها وإن كتمت مع ذلك شعورها حتى لا تثير شك زائرتها .. فإن هذا الخاتم الزبرجدي هو قرين العقد الزبرجدي الذي تحمله هي حول عنقها ، وكلا الخاتم والعقد من مقتنيات العالم الأثري « جيمس كارستيرز » جلبها من تنقيبه في الآثار المصرية القديمة ، وليس لها في عالم الحلى نظير ؛ ولا ريب في أنه أهدى الخاتم إلى زوجته الثانية كما أهدى العقد إلى زوجته الأولى ... بكل هذه

الخواطر رفعت السيدة « لاسترا » عينيها إلى وجه الزائرة تلتمس من تقاطيعها ما يؤيد ظنونها ويحقق خواطرها ... فإذا هي تذكر أوصافها التي سمعت عنها :

شقراء الشعر دقيقة الملامح أنيقة الهندام ؛ في نحو الثامنة والثلاثين من العمر ، وبالإجمال لم يبق عندها من شك في أنها هي « أليس دين » المرأة التي انتزعت منها زوجها بعد طلاقها منه ... وهكذا مضت الزائرة « أليس » في صمتها فبادرتها السيدة « لاسترا » بقولها :

— لقد كنت تمثلين على المسرح ... أما الآن فأنت قد اعتزلت التمثيل وأصبحت زوجة !! .. فأومأت الزائرة إيجاباً .

فاستطردت السيدة « لاسترا » :

— وقد تزوجت منذ تسع سنوات فأومأت الزائرة مرة أخرى دون أن تبدي أدنى دهشة لما تسمع من دقة التفاصيل وقالت بصوت مشوب بالتعجب :

— إنه تزوجني لكي ينسى امرأة أخرى ، فلم يبق شك في نفس السيدة العرافة ... فهي الآن تواجه خليفتها عند زوجها ، فخارت قواها وتبددت أنفاسها ... واستسلمت للتفكير العميق الذي أبرز الآن صورة « جيمس » في أطواء الماضي ... ولم تلبث حتى قالت لمنافستها :

— لا بد أن تكوني سعيدة مع زوجك .

— إني سعيدة حقاً .

— إنه يحوطك برقة وحنو ندر أن يكون لها مثيل في هذه الدنيا فيجدر أن تكوني لذلك أهلاً ، ولا تشكي في إخلاصه فهو مثال طيب للرجل الجدير بالحب والاحترام . فقالت الزائرة في صوت أقرب إلى الهمس :

— صدقت فيما تقولين !

— إن حياتك مشوبة ببعض المتاعب والقلاقل، وإن زوجك نشأ كله المخاصة ، فإن وجدت منه بعض الهفوات أو ساءك منه شيء ، فاذكري أن نوابغ الرجال لا يستطيعون أن يوفقوا بين نبوغهم وبين توافه الأمور ... إنهم ... ولكن السيدة كفت عن الاسترسال في حديثها خشية الإفتضاح بذكر هذه التفصيلات الدقيقة .

فردت « أليس » في حدة :

— لقد وجدت المتاعب التي تشيرين إليها ، ولكنها انتهت ومضت . انحازت العرافة « لاسترا » إلى التفاؤل قياماً بالواجب حيال زائرتها ثم اردفت :

— سيكون الخير .. وستسير الأمور على أحسن ما تكون .. ويومئذ لا تنسي أن تخبريني . وهنا وقفت الفتاة « أليس » بوجه متجهم وقالت :

— كل شيء بخير كما قلت لك .. وهذا هو سبب حضوري إليك ... إنه يريدك إلى جانبه يا « أما كارستيرز » إنه لم ينقطع لحظة عن التفكير فيك وعن محبته لك .

فبهتت السيدة « لاسترا » عند سماعها هذه المفاجأة التي لم تكن في حسبانها .. ووثبت واقفة كالمصعوقة وهتفت :

— كيف عرفت مكاني ؟ . . ولماذا جئت إلي — أيتها الماكرة — أنت من دون الناس جميعاً ؟ .

— لأنه يجب أن تعودي إليه ، فأنت ملاكه وأنت حياته .. ولا أستطيع أنا ولا أية فتاة أخرى أن تسد الفراغ الذي أحدثته في قلبه .

— لا يمكن .. لا يمكن هذا .. وأنت بلا شك تعرفين أن هذا ضرب من المحال !

— إنه الآن في مسيس الحاجة إليك أكثر من أي وقت مضى . فإن عدت له أديت إلى خدمة أذكرك بها على الأرض وفي السماء .

— لكن كيف أعود إليه وقد ربط بينك وبينه حبل الزوجية . محال أن أعود فأفرق بينكما ، وربما آلمني بذلك عليك ، وأنا أحب أن أموت مضحية بنفسي ، ولا أفرق بين زوجين سعيدين

تراخت الزائرة «لاسترا» وسكبت دموعاً غزيرة وأخذت تنتحب طويلاً ثم رفعت رأسها وغمغمت وكأن صوتها صادر من مكان سحيق ...

— إنه يحبك يجب أن تعودي إليه..ولا أستطيع أن أقف بين قلبين متحابين .

— ولقد تحققت من أن « جيمس » سوف لا يكون سعيداً هانئاً إلا فى ظل رعايتك ... فكونى له ولى حبه لك معينة ، ولتجعلك الأيام عوناً له من بعدى ، فلم يبق لى الآن فى دنيا الناس نصيب .. ثم صمتت قليلاً وحركت لسانها بكل تثاقل وهى تقول : وداعاً يا « جيمس » .. وداعاً يا سيدتى .. ثم خرجت تجر قدميها فى سكون وصمت .

شعرت « لاسترا » البرافة بجو الغرفة بارداً ، فأظلمت الدنيا أمام عينيها وسقطت مغشياً عليها ... ولما استفاقت بعد ساعات طويلة أخذ جسمها يرتعد بشدة ... وساورها خوف شديد ... فقد كان صدى كلمات الزائرة « أليس » لا يزال يتجاوب فى أنحاء الغرفة . وخاصة وهى تستحثها على العودة إلى « جيمس ».. وقد كانت ولا تزال هذه العودة أمنية قلبها ورجاءها الوحيد فى الحياة ... ولكن كيف السبيل إلى هذه العودة وقد خلع قلبها ثم جديد .. وهو أمر الزائرة « أليس » وفجأة سمعت طرقاً شديداً على باب حجرتها ... فظنته أحد الزوار فقامت متثاقلة وفتحت الباب ... وما أشد دهشتها حينما بدا « جيمس » بمحياه الباسم وبادرها بقوله :

— أهذه أنت يا « لاسترا » ما أسعدنى من رجل ! .

وكان تفكير « لاسترا » لا يزال عالقاً « بأليس » بالرغم من رؤية « جيمس » فسألته قلقة :

— هل رأيت زوجتك « أليس » ؟

— حمقاء « أليس » فقد انتحرت منذ لحظة قصيرة ولست أعرف لذلك من سبب سوى نفور بدا عليها من أيام .

والآن فما أسعدنى إذا قبلتنى مرة أخرى لك زوجاً أعيش بقية أيامى فى سعادة وهناء . ثم قبلها قبلة طويلة كانت فاتحة لحياة الزوجية الجديدة .

(عطبرة — سودان) سيد أحمد قناوى

مطبعة الرسالة